كشف الكربة

في وصف حال أهل الغربة

للحافظ ابن رجب الحنبلي
(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)

تحقيق ودراسة
يسري عبد الغني البشري

كشف الكربة

في وصف حال أهل الغربة

للحافظ ابن رجب الحنبلي

(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)

دراسة وتحقيق

يسري عبد الغني البشري

مكتبة الساعي

الرياض ☏ : ٤٢١٥٦٣٦-٤٢١١٤٣٤-٤٢١١٤٠٤

ص.ب ٥٠٦٤٩٠ - الرياض : ١١٥٣٣

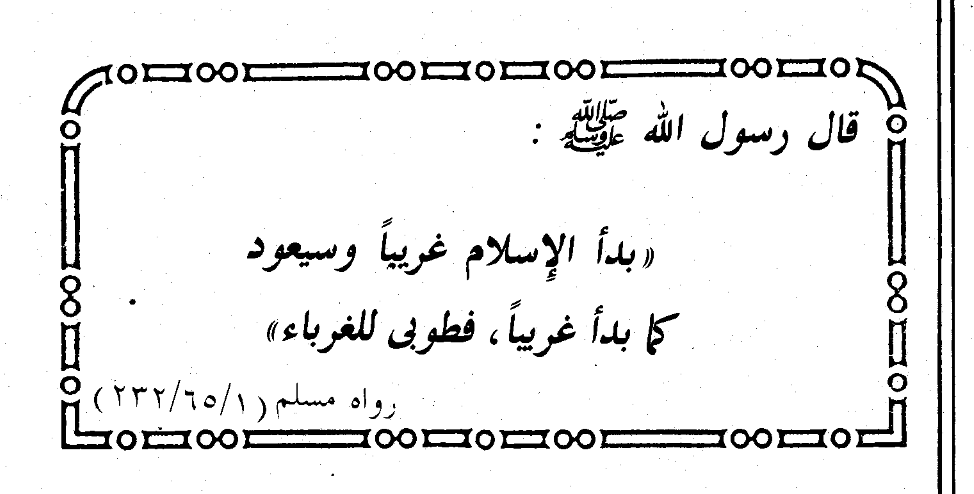
جدة : ☏ ٦٥٣٢٠٨٩

[إهـــداء]

إلى هؤلاء الذين يتشدقون صباح مساء ، بالغربة والاغتراب الفكرى .. إلى هؤلاء الذين يعانون الاغتراب فى داخلهم ..

إلى من يحسون بالغربة الحقيقية ..

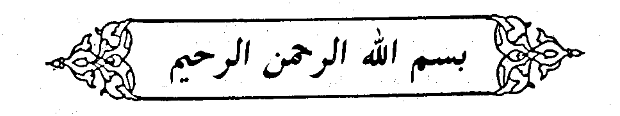
إليهم جميعاً نهدى هذه الرسالة .. كتبها مفكر مسلم أحس بالغربة ولكن من خلال رؤية إسلامية منطلقها الإيمان الصادق ...



وقال ابن قيم الجوزية :

وحي على جنات عدن . فإنها ... منازلك الأولى . وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو . فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ، ونسلم؟ !
وأي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وقد زعموا : أن الغريب إذا نأى ... وشطت به أوطانه . ليس ينعم
فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة ... من العمرِ ، إلا بعد ما يتألم





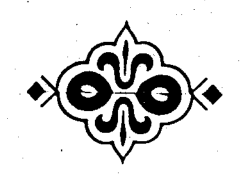
[تقديـــم]

أحمدك يارب العزة والقدرة حمداً كثيراً ، شاكراً لك كل ماتعطينا ، أحمدك يارب العالمين ، وأصلى وأسلم على رسولنا محمد ﷺ المبعوث إلى البشرية جمعاء رحمة وهدى للعالمين ، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، أصلى عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغر الميامين ..

أما بعــد ..

فهذه رسالة « **كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة** » للإمام العلّامة والحَبْر الفهّامة الإمام الحافظ / عبد الرحمن بن رجب الحنبلى غفر الله له ولنا جميعاً ، نقدمها للقراء الأعزاء فى ثوب جديد من الطبع والتحقيق ، وهى رسالة نراها جادة ، قيمة ، بها شرح طيب مفيد لحديث رسولنا الكريم ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء** » صدق رسول الله ﷺ .

وقد اعتمدت فى تحقيق ودراسة هذه الرسالة على المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة وكذا النسخة المطبوعة فى المطبعة المنيرية بمصر المحروسة وغيرها من الطبعات المختلفة لهذه الرسالة .



[الغرباء فى العالم](1)

الغرباء فى العالم : هم أهل الصفة المذكورة فى قول المولى سبحانه وتعالى :

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ [هود : ١١٦]

وهم الذين أشار إليهم سيد البشر ﷺ فى قوله : «**بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء**» قيل : ومَنْ الغرباء يارسول الله ؟ قال : «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**» . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن زهير عن عمرو بن أبى عمرو ـ مولى المطلب بن حنطب ـ عن النبى ﷺ قال : «**طوبى للغرباء**» قال : يارسول الله ، ومَنْ الغرباء ؟ قال : «**الذين يزيدون إذا نقص الناس**» .

فإن كانَ هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظاً ـ لم ينقلب على الراوى لفظه و . ه : «**الذين ينقصون إذا زاد الناس**» ـ فمعناه : الذين يزيدون خيراً وإيماناً وتقى ء . نقص الناس من ذلك ـ والله أعلم(2) .

وفى حديث الأعمش عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ،**

---

(١) لابن قيم الجوزية شيخ ابن رجب الحنبلى كلام قيم عن الغربة والغرباء ، وهو صاحب القلم السيال والسحر الحلال وقد استفدت من كلامه فى التقديم لهذه الرسالة .

وابن القيم هو الإمام محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى ، ثم الدمشقى ، الفقيه ، الأصولى ، المفسر ، النحوى ، العارف ، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، كان مولده سنة ٦٩١ هـ ، وسمع من كثير من العلماء الأجلاء فى عصره ، وتفقه فى المذهب الحنبلى وبرع وأفتى .

كان عارفاً بالتفسير وبأصول الدين وبالحديث وفقهه ، وبالعربية وله فيها اليد الطولى ، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة . وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مراراً . أخذ عنه العلم خلق كثير وانتفعوا به . له تصانيف كثيرة فى أنواع العلم وفنونه . توفى ـ رحمه الله ـ وقت العشاء الأخيرة ليلة الخميس ١٣ رجب ٧٥٢ هـ ، وشيعه خلق كثير . ورؤيت له منامات كثيرة حسنة رضى الله عنه وأرضاه . [مختصر من ترجمة ابن رجب له فى ختام كتابه طبقات الحنابلة] .

(٢) هذا الحديث وغيره قمت بتخريجه التخريج العلمى اللازم فى هوامش تحقيق الرسالة

فطوبى للغرباء» قيل : ومَنْ الغُرباء يارسول الله ؟ قال : «**النزاع من القبائل**» .

وفى حديث عبد الله بن عمرو قال : قال النبى الأمين ﷺ ـ ذات يوم ، ونحن عنده: «**طوبى للغرباء**» قيل: ومَنْ الغُرباء يارسول الله؟ قال: «**ناس صالحون قليل فى ناس كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم** » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده : حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا محمد بن مسلم حدثنا عثمان بن عبد الله عن سليمان بن هرمز عن عبد الله بن عمرو عن النبى الكريم ﷺ قال : «**إن أحبَّ شيء إلى الله الغرباء**» قيل : ومَنْ الغرباء ؟ قال : «**الفرارون بدينهم ، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة**» .

وفى حديث آخر : «**بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء**» قيل : ومَنْ الغُرباء يارسول الله ؟ قال : «**الذين يحيون سنتى ، ويعلمونها الناس**» .

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون . ولقلتهم بين الناس سموا «**غرباء**» فإن أكثر الناس على هذه الصفات . فأهل الإسلام فى الناس غرباء . والمؤمنون فى أهل الإسلام غرباء . وأهل العلم فى المؤمنين غرباء .

وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع غرباء .

والداعون إلى السنة المطهرة ، وأصولها السمحة النقية ، هم غرباء .

والذين يقاسون الأمرين ، ويعانون الأذى والاضطهاد من المخالفين هم أشد هؤلاء الغرباء غربة. الذين من أجل النقاء ولقمة الخبز الشريفة يشهر بهم ضعفاء النفوس ومن لا خلاق لهم هم الغرباء ..

وأصحاب الفكر السليم النابع من قيم الإسلام السامية ، فى زمننا الردىء هذا ، غرباء ، إنهم فى حقيقة الأمر أهل الله حقاً . فلا غربة عليهم . وإنما غربتهم بين الأكثرين . هؤلاء الذين قال فيهم خالقنا العلى العظيم :

﴿**وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله**﴾ [الأنعام: ١١٦] .

أولئك هم الغرباء من الله ورسول الله ﷺ ودينه القويم الذى لا يأتيه الباطل من خلفه أو أمامه . إن غربتهم هى الغربة الموحشة القاتلة ، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم ولهم جنات رب العزة بإذنه تعالى .

[الغربة .. رؤية إسلامية]

الغربة فى التفكير الإسلامى أنواع ثلاثة :

النوع الأول :

غربة أهل الله وأهل سنة رسوله ﷺ بين هذا الخلق . وهى الغربة التى مدح رسول الله ﷺ أهلها . وأخبر عن الدين الذى جاء به ، أنه «**بدأ غريباً**» ، وأنه «**سيعود غريباً كما بدأ**» وأن «**أهله يصيرون غرباء**» وهذه الغربة قد تكون فى مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين قوم دون قوم .

ولكن أهل هذه «الغربة» هم أهل الله حقاً . هؤلاء يأوون إلى الله فقط وليس إلى غيره . فهؤلاء يحبون الله ورسوله وينتسبون إليه فقط دون غيره ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به .

هم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم . فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا فى مكانهم معتصمين بحبل الله المتين .

يقال لهم : «ألا تنطلقون حيث انطلق الناس ؟» يقولون والإيمان فى أعماقهم لا يتزعزع : «فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم ، وإنا ننتظر ربنا الذى كنا نعبد» .

هذه الغربة لا وحشة على أصحابها . بل هم آنس ما يكونون إذا استوحش الناس .

وأشد ما تكون وحشتهم إذا استأنسوا . إنهم لا ولى لهم إلا رب العرش العظيم الذى خلقهم . لا ولى لهم إلا الله ورسوله والذين آمنوا ، وإن عاداهم أكثر الناس وجفوهم وبعدوا عنهم .

ومن هؤلاء الغرباء : من ذكرهم أنس فى حديثه عن النبى ﷺ :

«رُب أشعث أغبر . ذى طمرين[1] لايؤبه له . لو أقسم على الله لأبرّه» .

ومن صفات هذا الصنف من الغرباء الذين غبطهم نبى الحب والرحمة ﷺ : التمسك بالسنة المطهرة ، إذاانصرف عنها الناس ، وترك ماأحدثوه ، وإن كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ، لا شيخ ، ولا طريقة ، ولا مذهب ، ولا طائفة . بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده . وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده .

هؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً فى زمن النار المتلظية .

وأكثر الناس ، بل كلهم يلومونهم .

أكثر الناس يعتبرون غربتهم بين الخلق ، نوعاً من الشذوذ والبدعة ، ومفارقة للسواد الأعظم .

ومعنى قول معلمنا الأول محمد ﷺ : **«هم النزاع من القبائل»** :

إن الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديان مختلفة فهم بين :

- عُبَاد أَوثان (وثنيين) .
- عُبّاد نيران (مجوس) .
- عُبّاد صور ورموز .
- عُبّـاد صلبـان .
- يهــود .
- صائبـة .
- فلاسفة : (وضعيين ، وملحدين) .

لقد كان الإسلام فى أول ظهوره غريباً ، وكان من أسـلم منهم ، واستجاب لله ولرسوله ، غريباً فى حيّه وقبيلته وأهل عشيرته . فكان المستجيبون لدعوة الإسلام

(١) ذى طمرين : الطمر : الكساء البالى من غير الصوف .

نزاعاً من القبائل ، بل أحاداً منهم ، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلوا فى الإسلام . فكانوا هم الغرباء حقاً ، حتى ظهر الإسلام ، وانتشرت دعوته ، ودخل الناس فى دين الله المجيد الخالد أفواجاً ، فزالت تلك الغربة عنهم ، ثم أخذوا فى الاغتراب والترحل فى دنيانا الغرورة الفانية ، حتى عاد الإسلام غريباً كما بدأ .

الإسلام الحق ـ فى رأينا ورأى العلماء من الصالحين وقبلهم السلف الصالح وكما علمنا سيد البشر ﷺ ـ الإسلام الحق هو الذى كان عليه رسولنا الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وهو اليوم ـ بكل أسف ـ أشد غربة منه فى أول ظهوره .

نعم ، أعلام الإسلام ورسومه ظاهرة ، مشهورة ، معروفة ، ولكن الإسلام الحقيقى غريب جداً وأهله غرباء فى زمن الغربة ، بل أشد الغربة بين الناس . وكيف لا تكون فِرْقَة واحدة قليلة جداً ، غريبة جداً ، غريبة بين اثنتين وسبعين فِرْقَة . ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات . وماجدَّ من فِرْق عجيبة غريبة فى أيامنا هذه ، فِرَق لا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ ؟

إن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق ولا حق قبله ولا بعده ، ما جاء به محمد النبى الأمين يضاد أهواءهم ، ولذاتهم ، ويضاد تكفيرهم وهجرتهم ، يضاد شيعتهم ، يضاد جهادهم المزعوم ، وتحالفهم المشبوه ، ويضاد ما هم عليه من شبهات وبدع التى هى منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التى هى منتهى طلبهم ، وغاية مقصدهم ، وهدف إرادتهم ؟!

فكيف لا يكون المؤمن التقى السائر فى طريق الله إلى الله على طريق المتابعة لله ولرسوله غريباً ـ بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم ، وأطاعوا شحهم ، وأعجب كل منهم برأيه .

ونقرأ فى سنن أبى داود وسنن الترمذى ، من حديث أبى ثعلبة الخشنى الذى قال : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ **يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم** ﴾ [المائدة : ١٠٥] . فقال : « **بل ، ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوىً**

متبعاً ، ودُنياً مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأيٍ برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن مِنْ ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر . للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله » قلت : يارسول الله ، أجر خمسين منا أو منهم ؟ قال : « **بل أجر خمسين منكم** »[1] . [أو بمعناه] .

فجعل للمسلم الصادق فى هذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابة . وهذا الأجر العظيم المكرم إنما هو لغربته بين الناس ، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم .

فإذا أراد المؤمن ، الذى قد رزقه الله بصيرة فى دينه ، وفقهاً فى سنة رسوله ، وفهماً فى كتابه المجيد ، وأراه ماالناس فيه : من الأهواء والبدع والضلالات ، وتنكبهم على الصراط المستقيم ، الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه . فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجُهّال وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه ، وإزرائهم به . وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه . كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ .

فأما إن دعاهم إلى ذلك ، وقدح فيما هم عليه : فهناك تقوم قيامتهم ، ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله . فهو غريب ، غريب فى دينه لفساد أديانهم ، غريب فى تمسكه بالسنة ، لتمسكهم بالبدع ، غريب فى اعتقاده وملتهم وفكرهم ، لفساد عقائدهم ، غريب فى عبادته وشعائره ، غريب فى صلاته لسوء صلاتهم ، غريب فى طريقه وطريقته الموصلة لله عز وجل ، لضلال وفساد طرقهم وطرائقهم ، غريب فى نسبته إلى الإسلام والمسلمين ، لأنه يخالف نسبهم ، غريب فى معاشرته وعشرته لهم ، لأنه يعاشرهم على مالا تهوى طرق ضلالهم ، وأهواء أنفسهم .

وبالجملة ـ أيها القارىء المِفْضَال ـ فهو غريب جداً فى أمور دنياه وآخرته ، لايجد من العامة مساعداً أو نصيراً ، أو معيناً أميناً ، فهو عالم بين جُهّال فى زمن

---

(١) أخرجه الترمذى فى أبواب التفسير (١٨٣/١١) وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه فى كتاب الفتن (٤٠١٤) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٣٩/٢) وعزاه لابن جرير والبغوى وابن المنذر .

الجهل والجهالة ، صاحب علم وفقه وسنة بين أهل الأهواء والبدع ، داعٍ إلى الله الحق ، وإلى سنة رسوله الميمونة بين دعاة ومدمنى الأهواء والهراء والبدع الباطلة ، أمر بالمعروف والتقوى والإيمان والخير ، ناهٍ عن المنكر والإثم والبغى والعدوان والضلال بين قوم قلبوا موازين الأمور : المعروف عندهم منكر ، والمنكر عندهم معروف .

النوع الثانى من أنواع الغربة :

ننتقل الآن إلى النوع الثانى من أنواع الغربة فى رؤيتنا الإسلامية للغربة ككل فنقول : النوع الثانى هو الغربة المذمومة وهى غربة أهل الباطل وأهل الفجور والعياذ بالله بين الحق ، فهى غربة بين حزب الله من أهل الإيمان والفلاح ، وإن كثر أهلها فهم غرباء على كثرة أصحابهم وأنصارهم وأشياعهم ، وأهل وحشة ، على كثرة مؤنسهم ، يعرفون فى أهل الأرض ، ويخفون على أهل السماء .

النوع الثالث والأخير :

هى الغربة المشتركة ، لا تحمد ولا تذم ، وهى الغربة الخارجية أو الغربة المباشرة ، فإن الناس فى هذه الدار ، دار الدنيا الفانية غرباء أولاد غرباء ، غرباء على الطريق ، لأن هذه الدار ليس لهم بدار إقامة أو مقام دائم ، ولا هى الدار التى خلقوا لها لأنها دار فانية ، دار أعمال فقط ، بعدها ننقل إلى دار شقوة (النار) أو دار رشاد (الجنة) لنخلد فيها أبد الآبدين .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ للصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأرضاهما :

«كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل»[١] .

وهكذا هو فى نفس الأمر ، لأنه أمر أن يطالع ذلك بقلبه ويعرفه حق المعرفة

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق باب قول النبى (ﷺ) كن فى الدنيا كأنك غريب (٦٤١٦ فتح) ، وابن ماجه فى كتاب الزهد باب مثل الدنيا برقم (٤١١٤) ، وأحمد فى مسنده (٢/٢٤-١٣٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٠١/٣) .

وينشد العلّامة الجليل ابن قيم الجوزية هذه الأبيات الرقيقة النابعة من نفس المعنى

وحى على جنات عدنٍ فإنها — منازلكَ الأولى وفيها المخيمِ
ولكننا سبى العدو فهل ترى — نعود إلى أوطانِنَا ونسلِمِ ؟!
وأى اغتراب فوق غربتنا التى — لها أضحت الأعداء فينا تحكمِ
قد زعموا : أن الغريب إذا نأى — وشطت به أوطانه . ليس ينعمِ
فمن أجل ذا لاينعم العبدُ ساعةً — من العمرِ ، إلا بعد ما يتألمِ

ـ أيها القارئ المفضال ـ وكيف لا يكون العبد غريباً وهو على جناح سفرٍ لا يحل عن راحلته إلا بين أهل القبور ، كلنا نركب قطاراً يسير ولا يهدأ فى مسيره ، كل واحدٍ فينا له(محطة)ينزل فيها ، ومن الحتمى أن ينزل فيها ، لا حق له فى أن يعترض أو يصرخ أو يصيح قائلاً : إنها ليست محطتى ، سيقول له «مُحِصّل» القطار إلى هنا انتهت «تذكرتك» لا يحق لك الاستمرار فى «الركوب» ، ولا يحق لك أن تشترى «تذكرة» أخرى ، لا داعى للمشاحنة أو المعارضة فالرحلة كلها تعب ، فما العجب إلا لمن يرغب فى استمرارها ، ولو عرفنا بالفعل أننا غرباء فيها ، لكنا مثل الضيف الوديع الذى هو كالطيف ، لا يحب أن يكون ثقيلاً على الآخرين ، يعرف أنه كلما كان غريباً كان حبيباً .

حقاً ـ أيها الأخ الكريم ـ أنت وأنا وكل البشر فى حالة سفر دائم ، ولكننا مسافرون فى حالة قعود ولنسمع معاً قول الشاعر الحكيم :

ما هذه الأيام إلا مراحل — يحس داعٍ إلى الموت قاصد
وأعجب شئ ـ لو تأملت ـ أنها — منازل تُطوى والمسافرُ قاعدُ[1]

(١) راجع مدارج السالكين (٣/١٩٤ ـ ٢٠١) .

منهجنا فى تحقيق كتاب :
[كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة]

١ ـ اعتمدت فى تحقيق هذه الرسالة على نسخة مطبوعة محفوظة بدار الكتب المصرية ، وهى مطبوعة فى المطبعة المنيرية بمصر وقمت بمضاهاتها ومراجعتها على مخطوطة الرسالة الأصلية

٢ ـ قمت بتخريج الآيات القرآنية ، وجئت بتمامها فى الهامش ، حيث إن ابن رجب كثيراً ما يذكر جزءًا من الآية .

ثم علقت على الآيات بما يناسب الموضوع الذى بصدده الكتاب وذلك قدر الإمكان .

٣ ـ خرّجت الأحاديث النبوية تخريجاً علمياً بالرجوع إلى المصادر المعتمدة للسنة مع البيان الكامل لمكان الحديث ببيان الجزء والصفحة ورقم الحديث .

٤ ـ شرحت معظم المفردات اللغوية الواردة فى نص الرسالة بإسهاب كى تعم الفائدة على القارىء العزيز بإذن الله مستخدماً الكثير من معاجم اللغة .

٥ ـ عرّفت بالأعلام الذين ورد ذكرهم فى هذه الرسالة وأسهبت فى التعريف ببعضهم بُغية البحث عن مواطن القدوة فى هؤلاء الأعلام ، كى ننتفع بسيرتهم ومواقفهم من أجل خدمة الإسلام .

٦ ـ شرحت بعض القضايا التى وردت فى الرسالة مثل موضوع الفِرقة الناجية ، وموضوع عودة المسلمين من الحبشة بعد الهجرة الأولى إليها .. إلخ وذلك مع ارتضاء الرأى المعتدل الصائب .

٧ ـ خرّجتُ بعض الأخبار والآثار التى وردت عن الصحابة والتابعين والصالحين ليقف القارىء على صحة وموضع ورود الخبر ـ كما وضعنا عناوين رأسية من عندنا كى نوضح الفكرة للقارىء قدرر الطاقة وهذه العناوين غير موجوذة بأصل الرسالة .

والله تعالى ولى التوفيق ،،

أضواء على شخصية ابن رجب الحنبلى

• هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامى البغدادى ثم الدمشقى ، كنيته أبو الفرج ، أما لقبه فهو زين الدين ، وله لقب آخر أورده ابن العماد الحنبلى فى «شذرات الذهب»[1] هو جمال الدين ، وقد عرف بابن رجب نسبة إلى جده .

• كان مولده فى بغداد فى ربيع الأول عام ٧٣٦ هـ[2] .

• قضى المصنف فترة حياته الأولى ببغداد والتى امتدت ٨ سنوات ، ثم غادرها وقدم دمشق مع والده شهاب الدين أحمد بن رجب عام (٧٤٤ هـ) ، حيث قضى حياته كلها إلى أن توفى فيها ودفن فيها ، ولكنه كان قد ذهب إلى مكة ومصر سعياً وراء العلم والمعرفة .

والقارىء لسيرة ابن رجب أو ترجمته يلتمس بوضوح وجلاء كيف أن البيت المسلم الحقيقى عندما يكون بيت علم ومعرفة ، بيت تقوى وورع يخرج أبناؤه علماء أفذاذ يشار لهم بالبنان ، ويسجلوا فى تاريخ العلم سطوراً من نور ، وهذا مما يؤكد أهمية اهتمام المجتمع بإنشاء البيوت المسلمة والتى تقوم على فهم صحيح للإسلام وقيمه ويتم فيها تربية الأبناء تربية سليمة بعيدة كل البعد عن الانحراف والتحلل والتطرف والفلسفات والنظريات الغربية الوافدة على بلادنا والغريبة على جوهر الإسلام .

---

(١) راجع شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـ لابن العماد الحنبلى ـ طبعة المكتب التجارى للطباعة ـ بيروت (٣٣٩/٦) .

(٢) ذهب ابن حجر العسقلانى فى درره الكامنة (٤٢٨/٢) ، وإسماعيل باشا البغدادى فى كتاب هدية العارفين (٥٢٧/١) إلى أن مولد ابن رجب الحنبلى كان فى عام ٧٠٦هـ ، أما الزركلى فى الأعلام (٦٧/٤) فقد ذهب إلى أن مولده كان عام ٧٣٦هـ . وهذا فى رأينا هو الأصوب فقد قال ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب (٣٣٩/٦) : إن ابن رجب قدم من بغداد العراقية إلى دمشق السورية وهو صغير سنة ٧٤٤هـ .
فلو قلنا أن مولده كان عام ٧٠٦هـ فمعنى ذلك أن سنه عام ٧٤٤هـ ـ وهو عام قدومه على دمشق السورية ـ سيكون ٣٨ عاماً ، مما لا يتفق مع وصف ابن العماد له حينذاك ، ولذلك نرجح أن يكون مولده عام ٧٣٦هـ أى أنه عند دخوله دمشق السورية كان سنه حوالى ثمانى (٨) سنوات والله أعلم ورسوله .

فابن رجب نسب إلى جده الذى كان إماماً محدثاً معروفاً . ووالده الذى أخذ بيده لحضور مجالس العلم فى دمشق وهناك سمع الأب والابن دروس محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الخباز ، وكذلك من إبراهيم بن داود العطار .

وقد اشتغل ابن رجب الحنبلى بسماع الحديث باعتناء والده ، حتى أجازه[1] ، علماء أجلاء مثل النقيب والنووى[2] .

ثم إنه سمع العلم فى مصر ومكة .

ففى مصر المحروسة سمع من صدر الدين ابن الفتح الميدومى ، ومن جماعة من أصحاب ابن البخارى ومن خلق من رواة الآثار والعلم .

وفى مكة المكرمة سمع على الفخر عثمان بن يوسف .

وقد قرأ ابن رجب القرآن بالروايات ، وأكثر عن الشيوخ وخرّج لنفسه مشيخة مفيدة .

● وقد كانت لابن رجب الحنبلى مجالس علم وصفها ابن العماد فى كتابه الهام «شذرات الذهب» قائلاً[3] : إن مجالسه كانت تذكيراً للقلوب الضارعة، وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ، ومالت القلوب بالمحبة إليه .

●*أما مصنفات ابن رجب فنذكرها على الوجه التالى :*

١ ـ جامع العلوم والحكم :(وهو شرح أربعين النواوى وزادها عشر أحاديث)[4] .

---

(١) قال أستاذنا الجليل الشيخ أحمد شاكر فى تحقيقه لكتاب «اختصار الحديث» لابن كثير [ط ٣ ـ مطبعة صبيح ـ ص ١٢١] : «الإجازة : أن يأذن الشيخ لغيره بأن يروى عنه مروياته أو مؤلفاته ، وكأنها تتضمن إخباره بما أذن له بروايته عنه» .

(٢) هو غير الإمام أبى زكريا يحيى النووى صاحب شرح مسلم والأذكار ، فإنه توفى ٦٧٦ هـ أى قبل مولد ابن رجب الحنبلى بـ ٦٠ عاماً .

(٣) راجع شذرات الذهب (٦/٣٣٩) .

(٤) طبع فى مصر بتحقيق الأستاذ الدكتور/ محمد الأحمدى أبو النور فى القاهرة ـ دار الكتاب الجديد ١٩٦٩م ـ كما جدد طبعه مرة أخرى ضمن سلسلة [كتاب الإمام] عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٨٦م .

٢ ـ اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى[١] .

٣ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها[٢] .

٤ ـ كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة[٣] [وهو الكتاب الذى نحن بصدده] .

٥ ـ شرح حديث « **ما ذئبان جائعان** »[٤] .

٦ ـ نور الاقتباس فى مشكاة وصية النبى ﷺ لابن عباس[٥] .

٧ ـ الاستخراج لأحكام الخراج[٦] .

٨ ـ تفسير سورة النصر[٧] .

٩ ـ ذيل طبقات الحنابلة[٨] .

١٠ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف[٩] .

١١ـ غاية النفع فى شرح تمثيل المؤمن بنخلة الزرع[١٠] .

١٢ـ فضل علم السلف على الخلف[١١] .

١٣ـ الفرق بين النصيحة والتعيير .

---

(١) طبع بالقاهرة فى مطبعة أنصار السنة المحمدية .

(٢) طبع بمصر سنة (١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م) وكذلك طبعه المكتب الإسلامى بدمشق السورية .

(٣) حققه أستاذنا الشيخ/ أحمد محمد شاكر تحقيقاً موجزاً ، وصدر عن مطبعة النهضة الأدبية بالقاهرة ، كما حققه الأستاذ/ محمد أحمد عبد العزيز وصدر عن المكتبة القيمة بمصر .

وعلى رغم التحفظات الكثيرة التى نأخذها على طبعة المكتبة القيمة فإننا نشكر المحقق على جهده وما نحاوله نحن مجرد محاولة متواضعة نرجو أن تتجاوز ما سبق من تحقيقات لنفس الرسالة .

ومن أصح الطبعات لهذه الرسالة طبعة المطبعة المنيرية والتى صححناها على مخطوطة الرسالة الأصلية

(٤) طبع فى لاهور سنة ١٣٢٠ هـ وبمصر مع كتاب « جامع بيان العلم » .

(٥) طبع فى مطبعة الترقى الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٧ هـ ، وطبع بمصر سنة ١٣٦٥ هـ .

(٦) طبع بمصر سنة (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م) .

(٧) طبع بالهند بدون تاريخ .

(٨) طبع الجزء الأول منه فى دمشق السورية سنة (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م) . وطبع الأول والثانى بالقاهرة بعد ذلك .

(٩) طبع بالقاهرة ـ عيسى الحلبى ١٩٢٤ م .

(١٠) طبع فى مطبعة أنصار السُنَّة ، سنة ١٩٣٩ م .

(١١) طبع بمصر ـ مصطفى الحلبى ـ سنة ١٣٤٧ هـ .

١٤ـ أهوال القبور .

١٥ـ شرح جامع الترمذى[١] .

١٦ـ فضائل الشام[٢] .

١٧ـ القواعد الفقهية[٣] .

١٨ـ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى[٤] .

١٩ـ الاستغناء بالقرآن[٥] .

٢٠ـ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض الأنس[٦] .أو [رياح القدس] .

٢١ـ التخويف من النار ، والتعريف بحال دار البوار[٧] .

٢٢ـ الإلمام فى فضائل بيت الله الحرام[٨] .

٢٣ـ مولدات فى فضائل الشهور[٩] .

٢٤ـ ريـــاض الأنـــس[١٠] .

٢٥ـ تقرير القواعد وتحرير الفوائد فى الفروع[١١] .

● وغيرها من المصنفات القيمة النافعة والتى طرق بها ابن رجب العالِم العلّامة

---

(١) ذكره صاحب الأعلام (٦٧/٤) ، وصاحب شذرات الذهب (٣٣٩/٦) ، وصاحب الدرر الكامنة (٤٢٨/٢) ، وصاحب هدية العارفين (٥٢٧/١) .

(٢) ذكره صاحب الأعلام (٦٧/٤) .

(٣) ذكره صاحب الأعلام ، وصاحب شذرات الذهب ، وصاحب الدرر الكامنة ، وصاحب هدية العارفين الذى سماه (القواعد الكبرى فى الفروع) .

(٤) ذكره صاحب شذرات الذهب ابن العماد الحنبلى (٣٣٩/٦) وقال : إنه وصل إلى الجنائز ، ينقل فيه كثيراً من كلام المتقدمين .

(٥) ذكره صاحب هدية العارفين (٥٢٧/١) ، كما ذكره ابن رجب فى كتاب (الخشوع فى الصلاة) .

(٦) ذكره صاحب هدية العارفين .

(٧) ذكره صاحب هدية العارفين .

(٨) ذكره صاحب هدية العارفين .

(٩) ذكره صاحب هدية العارفين .

(١٠) ذكره صاحب هدية العارفين .

(١١) ذكره صاحب هدية العارفين .

والحَبر الفهّامة الكثير من فروع العلم من فقه ، وحديث ، ووعظ ، وتراجم [١] .

وقد أجمع العلماء الأجلّاء على قدر ابن رجب وعلمه ، فهذا **ابن حجر** يقول عنه :

«أتقن الفن ـ أى فن الحديث ـ وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق ، وتخرج عليه غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق» [٢] .

ويقول **نعمان قساطلى** فى كتابه : «الروضة الغناء» :

«ابن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين ، هو زين الدين بن رجب الإمام الأصولى المحدث الفقيه والواعظ الشهير كان إماماً فى الفنون وله مصنفات كثيرة» [٣] .

ويقول العلّامة أبو الطيب/ محمد شمس الحق مذيلاً على فوات الوفيات : «كان إماماً بارعاً عدم النظير فى عصره» [٤] .

الوفاة ، والفضل :

ونأتى إلى وفاة عالمنا الجليل ، فقد كانت وفاته رحمه الله تعالى يوم الإثنين فى الرابع من شهر رمضان عام (٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٣ م) بعد حياة دامت ٥٩ عاماً ، حفلت بالسعى فى طلب العلم ثم التدريس وتصنيف الكتب ، وقد توفى بأرض الخميرية ببستان كان استأجره . وقد دفن رحمه الله تعالى بالباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه/ عبد الواحد بن محمد الشيرازى .

---

(١) راجع المقدمة التى كتبناها لكتاب الخشوع فى الصلاة وعرفنا فيها بابن رجب وحياته ومؤلفاته ومجالس علمه . ونسبه ، ومولده ، وطلبه للعلم ، وأقوال العلماء فيه . وقد قمنا بتحقيق الكتاب .

(٢) راجع كتاب شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٣٣٩/٦) ، وقد ورد فى ترجمة ابن رجب الحنبلى فى طبعة المكتبة القيمة لكتاب (الخشوع فى الصلاة/٥) أن هذا القول لابن حجر العسقلانى ، وهو خطأ ظاهر ، والقول نفسه يوضح ذلك ، فإنه يقول : «وغالب أصحابنا الحنابلة» ونحن نعرف أن ابن حجر العسقلانى كان شافعياً ـ والله أعلم ورسوله .

(٣) راجع كتاب الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء ـ لنعمان أفندى قساطلى ـ بيروت ١٨٧٩ م ـ ص ١٣٣ .

(٤) راجع ترجمة ابن رجب الحنبلى فى كتاب «الخشوع فى الصلاة» ـ مطبعة العباسية الحديثة ـ مصر .

قال ابن ناصر الدين : «ولقد حدثنى من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام فقال : أحفر لى هاهنا لحداً ، وأشار إلى البقعة التى دفن فيها .

فقال : فحفرت له ، فلما فرغ نزل فى القبر واضطجع فيه فأعجبه ، وقال : هذا جيد ، ثم خرج .. قال : فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقد أتى به ميتاً محمولاً فى نعشهِ فوضعته فى ذلك اللحد» [1] .

رحم الله شيخنا ابن رجب الحنبلى فقد كان عالماً فاضلاً زاهداً ورعاً ، ترك لنا علماً ننتفع به ، وتراثاً منيراً نستضىء به فى زمن الشك والريب ، ونحن فى العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى نطالع تراث ابن رجب الحنبلى لنجده مبرهناً بأقوى برهان على أن التراث الإسلامى العظيم تراث متجدد لا تنتهى فوائده على مر العصور لأنه يأخذ من معين لا ينضب ، معين القرآن المجيد وسُنة رسولنا ﷺ ، السُنة المطهرة ، التى بها وبالقرآن لا نضل أبداً مهما كانت المحن والإحن والضلالات [2] .

رحم الله علماء الإسلام الأماجد الذين رفعوا راية العلم والفقه عالية رغم أنف ضعفاء النفوس وأصحاب المصالح والأهواء ، ومَنْ فى قلوبهم زيغ ومرض .. هدى الله الجميع إلى سواء السبيل .



---

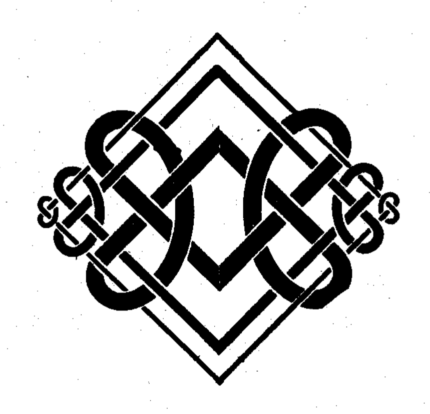
(١) راجع كتاب شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٦/٣٣٩) .

(٢) وكى يعود الفضل إلى أهله أذكر هنا أننى استفدت من الترجمة التى أعدها الأستاذ/عادل معاطى عن ابن رجب والتى صدر به تحقيقه لكتاب الخشوع فى الصلاة الصادر عن دار المشرق العربى .

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة المؤلف

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه . وعز جلاله . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، **أما بعد** :



الإســلام غريبــاً

خرّج مسلم[1] فى صحيحه من حديث أبى هريرة[2] رضى الله عنه عن النبى ﷺ

---

(١) الإمام مسلم بن الحجاج هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح .

ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ. وتوفى سنة ٢٦١هـ بنصر آباد فى ظاهر نيسابور، وكان يعمل بزازاً.

كان شيخ علماء عصره فى الحديث النبوى الشريف، وفضله بعضهم على شيخه البخارى . قال أحمد بن سلمة : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم ، يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما .

ولا يلزم من تقديم هذا لمسلم على شيوخ عصره ، أنهم يقدمونه على كل الشيوخ ومنهم البخارى ، فمن الجائز أنهم يقدمونه على جلهم وليس كلهم ، وبالتالى فهما لا يقدمانه على البخارى .

والرجال الذين انفرد بالرواية عنهم يبلغون ٦٢٠ رجلاً .

صنف مسلم كثيراً من الكتب ، وأشهرها «الصحيح» وهو فى المرتبة العليا من الصحة ، صنفه فى خمس عشرة سنة ، وقد انتخبه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

قال النيسابورى : ماتحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم .

قال الذهبى : لعل أبا على «النيسابورى» ما وصل إليه صحيح البخارى !

وجملة ما فى الصحيح بالمكرر ٤٠٠٠ حديث (أربعة آلاف حديث) .

ولمسلم أيضاً كتاب الطبقات ، والأسماء والكنى ، وكتاب العلل ، والمخضرمين ، وأوهام المحدثين والوحدان والأفراد وغير ذلك من التصانيف .

وقد شرح النووى والقاضى عياض والسيوطى وغيرهم صحيح مسلم وأفادوا به جل أهل الإسلام .

كما روى عن مسلم كثيرون منهم الترمذى وابن خزيمة وابن صاعد وأبو عوانة وغيرهم .

(٢) أبو هريرة رضى الله عنه هو عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس اليمانى ، فهو دوسى نسبة إلى دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الأزد ، والأزد من أعظم قبائل العرب وأشهرها

ولد فى اليمن ونشأ فيها ، يرعى غنم أهله وغيرهم ، كما نشأ أترابه ، نشأة القبيلة والبادية تلك النشأة العربية الخالصة . وقد أسلم أبو هريرة بأرض قومه ، على يد الطفيل بن عمرو ، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية ، وأما هجرته من اليمن إلى المدينة فقد كانت فى ليالى فتح خيبر .

وقد صحب أبو هريرة رسول الله ﷺ أربع سنوات ، فى حله وترحاله . توفى أبو هريرة سنة ثمان وخمسين هجرية .

ويعتبر أبو هريرة رضى الله عنه من أكثر من رووا سنة رسول الله ﷺ ، ولم يشتهر عنه أنه كتب شيئاً من السُّنة أمام رسول الله ﷺ ولا فى عهده ﷺ ، أو كتبت له ، ولكننا نجد بعد ذلك الآثار تخبرنا عن ثروة من كتب السنة لأبى هريرة رضى الله عنه .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما كان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ولا أكتب . (راجع اللؤلؤ والمرجان/٨٦١ ، ومختصر صحيح مسلم- حديث ٧٦١) .

وفى رواية أبى خيثمة عن أبى هريرة أنه قال : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ منى ، إلا ما كان=

= من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه يكتب بيده ويعيه بقلبه ، وكنت أعيه بقلبي .

ويعقب الدكتور الأعظمي في كتابه « دراسات في الحديث النبوي وتاريخه » بقوله : ولكنا نجد ذكر الكتب في حوزة أبي هريرة في أيامه الأخيرة ، إذ روى الفضل بن حسن بن عمر بن أمية الضمري عن أبيه قال : تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره ، فقلت : إني سمعته عنك ، فقال ـ أبو هريرة ـ : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي ، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي .

قال الذهبي : وقد اعترض على هذه الرواية ابن عبد البر قائلاً : هذا خلاف ما تقدم في أول الباب عن أبي هريرة من أنه لم يكتب وأن عبد الله بن عمرو يكتب . وحديثه في ذلك أصح في النقل من هذا الحديث ، وأنه أثبت إسناداً عند أهل الحديث .

وقد ناقض د. الأعظمي رأى ابن عبد البر فقال : لاتعارض بين الروايتين . فقد كان عبد الله بن عمرو يكتب عند رسول الله ﷺ في حياته ولم يكن أبو هريرة يكتب في ذلك الوقت ، ومن الممكن جداً أنه كتب بعد ذلك أو كتبت له هذه الأحاديث في وقت متأخر ، واحتفظ بها أبو هريرة . وعلى هذا يمكن الجمع بين الروايتين .

وهناك رواية أخرى تشير إلى كتب أبي هريرة . فقد قال بشير بن نهيك : كنت آتى أبا هريرة فآخذ منه الكتب فأنسخها ثم أقرؤها عليه ، فأقول له : هل سمعتها منك ؟ فيقول : نعم .

وهذا الإسناد مشكوك فيه . وإذا كان لبعض العلماء مقال في أن أبا هريرة كانت عنده كتب في السنة ، كتبها هو أو كتبت له ، فإن الثابت أن عدداً غير قليل من التابعين قد كتبوا السنة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ومن هؤلاء :

بشير بن نهيك كتب عن أبي هريرة ، وسعيد المقبري ، وعبد الله بن هرمز ، وعبد العزيز بن مروان ، وغيرهم كثيرون ، كل منهم كتب صحفاً في السنة عن أبي هريرة رضى الله عنه .

وممن اشتهرت له صحيفة رواها عن أبي هريرة رضى الله عنه تلميذه همام بن منبه وقد كانت للصحيفة شهرة كبيرة حيث رواها عن همام عن أبي هريرة عدد كبير من التابعين ومن بعدهم .

وكانت لها مكانة خاصة في تدوين الحديث النبوي لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام عن أبي هريرة وكانت تسمى « الصحيفة الصحيحة » (راجع كشف الظنون لحاجي خليفة ، وعلوم الحديث ومصطلحاته للدكتور / صبحي الصالح ، ص ٣١) .

كما سميت صحيفة عبد الله بن عمرو « الصحيفة الصادقة » . وقد عثر الباحث المحقق د. محمد حميد الله على نسختين كاملتين متماثلتين منها إحداهما في دمشق السورية ، والثانية في برلين الألمانية ، ومما يزيد الثقة بهذه الصحيفة وما تضمنته أن محتوياتها كاملة موجودة في مسند الإمام أحمد بن حنبل منسوبة لهمام عن أبي هريرة ، وأن كثيراً من أحاديثها مروى في صحيح البخاري في أبواب مختلفة ، وتعداد أحاديث هذه الصحيفة (١٣٨) حديثاً . (يراجع : مسند أحمد ٢/٣١٢ـ٣١٩ ، وصحيح البخاري ط. مصر سنة ١٣١٣هـ ١/٣٤ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٩١ و٤/ص ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٦ . ومواضع أخرى أيضاً) .

وشأن أبي هريرة اليمني شأن غيره من أصحاب رسول الله ﷺ ، تحملوا مهمة الدعوة ، وتحفيظ القرآن الكريم والتفقه فيه ، وتبليغ سنة رسول الله ﷺ ونشرها .

وللمزيد من التعريف بأبي هريرة رضى الله عنه راجع البداية والنهاية لابن كثير (١١٤/٨) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٣٩/٢) ، وطبقات ابن سعد (٤ : ٦٢/٢) .

قال[٣] : «بدأ[٤] الإسلام[٥] غريباً[٦] وسيعود كما بدأ غريباً ....

(٣) حديث رواه مسلم فى صحيحه (٢٣٢/٦٥/١) . ورواه الخطيب البغدادى فى شرف أصحاب الحديث (ص ٢٣) رقم (٣٧) . ورواه أحمد فى مسنده (٣٨٩/٢/حلبى) . ورواه ابن ماجه فى سننه (٣٩٨٦/٥/٣٦) وليس فيه لفظ : «كما بدأ غريباً) من نفس طريق مسلم . والحديث رواه القضاعى فى مسند الشهاب (اللباب/١٧٩) من طريق أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) بدأ به ابتدأ . و(بدأه) فعله ابتداء و(بدأ) الله الخلق و(أبدأهم) . و(ابتدئ) بوزن البديع البئر التى حفرت فى الإسلام وليست بعادية وفى الحديث : «حريم البئر البدئ خمس وعشرون ذراعاً» .

(٥) من سلم ومعناه الاستسلام ، ومنها ﴿ادخلوا فى السلم كافة﴾ أى ادخلوا إلى الإسلام ، والسلم هو الصلح ، والسلم المسالم ، والسلام السلامة ، والسلام الاستسلام ، والسلام الاسم من التسليم . والسلام اسم من أسماء الله تعالى . والسلام البراءة من العيوب .

والإسلام معناه أيضاً خلو العرض والجوهر من العيوب ظاهراً وباطناً .

ومعناه الرضا والتصالح والمصالحة ، وإسلام الأمر لله تعالى .

قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام ...﴾ [آل عمران : ١٩] .

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَل منه﴾ [آل عمران : ٨٥] .

﴿... وأتممت عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة : ٣] .

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر : ٢٢] .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام...﴾ [الصف : ٧] .

﴿يمنون عليكم أن أسلموا قل لاتمنوا علىّ إسلامكم﴾ [الحجرات : ١٧] .

﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ [التوبة : ٧٤] .

(٦) غرب منها الغربة والاغتراب ـ تقول : (تغرب) و(اغترب) بمعنى فهو (غريب) و(غُرُبٌ) بضمتين والجمع (الغرباء) والغرباء أيضاً الأباعد .

و(اغترب) فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه . وفى الحديث : «اغتربوا ولا تضووا» . [أو مامعناه] .

و(التغريب) النفى عن البلد .. و(أغزب) أى جاء بشئ غريب و(أغرب) أيضاً صار غريباً .

وأسود (غِرْبيب) أى شديد السواد .

وإذا قلت (غرابيب) سود كان السود بدلاً من الغرابيب لأن توكيد الألوان لايتقدم .

و(غرب) بعد . ويقال (أغرب) عنى أى تباعد و(غربت) الشمس أى بعدت ، و(الغرب) وهو الدلو العظيمة . (غرب) كل شئ أيضاً حده .

و(الغارب) مابين السنام إلى العنق ـ ومنه قولهم : حبلك على غاربك : أى اذهبى حيث شئت . وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقى على غاربها لأنها إذا رأته لم يهنئها شئ .

ويجدر بالذكر أن كلمة (غربة) جاءت فى أبى داود ، والدارمى ، وموطأ مالك ، وصحيح مسلم ، والنسائى ، والترمذى ، وابن ماجه ، ومسند أحمد ، وصحيح البخارى ، جاءت حوالى خمس مرات .

فى الوقت الذى جاءت فيه (غريب) و(غرباء) حوالى إحدى عشر مرة فى نفس المصادر السابقة .

وفى الأحاديث نعرف أن موت الغربة شهادة ، ومن دعاء الرسول ﷺ : «اللهم آنس وحشتى وارحم غربتى» .
=

فطوبى للغرباء»[7] .

وخرّجه الإمام أحمد[8] ....

= والغريب بقصد به أحياناً رجل من أهل الكتاب ويطلب منا الرسول أن نكون فى الدنيا كأننا غرباء .
وحديث «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء» .

له رواية أخرى تقول : «بدأ الإسلام غريباً وسيعود [كما بدأ] غريباً فطوبى للغرباء» [فقيل : مَنْ الغرباء ؟]- راجع : صحيح مسلم كتاب الإيمان/ ٢٣٢ ، والترمذى كتاب الإيمان/ ١٣ ، وابن ماجه كتاب الفتن/ ١٥ ، والدارمى كتاب الرقاق/ ٤٢ [فى الترجمة] ، ومسند الإمام أحمد ١٨٤/١ ، ٣٩٨ ، و١٧٧/٢ ، ٢٢٢ ، ٣٨٩ و٧٣/٤ .

(٧) قال ابن الأثير فى كتابه «غريب الحديث» ٣٤٨/٣ط. الحلبى محاولاً تفسير مضمون الحديث لغوياً : إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء ، أى أنه كان فى أول أمره كالغريب الوحيد الذى لا أهل له ، لقلة المسلمين يومئذ ، وسيعود غريباً كما كان : أى يقل المسلمون فى آخر الزمان فيصيرون كالغرباء ؛ فطوبى للغرباء ، أى الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا فى أول الإسلام ويكونون فى آخره ، وإنما خصهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولاً وآخراً ، ولزومهم دين الإسلام . [بتصرف] .

(٨) الإمام أحمد : هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى ، عربى من العرب الخلص ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ونشأ بها وتوفى سنة ٢٤١ هـ ، وكان رحمه الله إماماً جليلاً تقياً ورعاً ، خرج الناس بنعشه والخلائق حوله لا يعلم عددهم إلا الله .

نشأ الإمام أحمد فى بغداد وطلب العلم فيها ، فسمع من أبى يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة ثم انتقل إلى طلب الحديث ، وفى بغداد يومئذ نخبة من أعلامه ،فسعي فى لقاء الشيوخ والسماع منهم والكتابة عنهم حتى بلغ الذروة فى حفظ السنة والإحاطة بها فغدا إمام السنة فى عصره وحجة فى السنة والفقه معاً .

كان الإمام أحمد رحمه الله على جانب عظيم من الورع والزهد والأمانة والتشدد فى الحق ولذا فقد عارض القائلين بأن القرآن مخلوق وحادث ، ودافع بصلابة عن رأى السلف فى أن القرآن كلام الله فهو صفة من صفاته ، وصفات الله قديمة ، فالقرآن الكريم قديم باعتباره صفة من صفات الله القديمة- الخ- وكان بعض الخلفاء العباسيين قداعتقدوابفكرة خلق القرآن ، وحاولوا إجبار إمام أهل السنة أحمد بن حنبل على القول برأيهم ، أو حمله على عدم معارضة مذهبهم ، ولكن ورعه وإيمانه وصلابته فى الحق دفعه إلى الصمود فى وجههم ، والإصرار على رأيه والدفاع عن الرأى الذى يؤمن به . فقد كان يرى أن نشر هذا الاتجاه فيه تضليل للمسلمين وتحريف للعقيدة ، فتعرض للسجن والتعذيب مدة طويلة منذ عهد المأمون العباسى إلى عهد المتوكل على الله ، وهو صابر صلب يدافع عن الدين مظهراً لمذهب أهل السنة ، وكان لموقفه العظيم أثره فى تثبيت قلوب الناس على الحق ، وجعل له هذه المكانة السامية فى نفوسهم فكان كما قال عنه بشر بن الحارث الحافى : (دخل الكيرة فخرج ذهباً إبريزاً) .

وأصول مذهب ابن حنبل ، هى أصول الأئمة : الكتاب- السنة- الإجماع- القياس .

- وكان يعتمد على السنة حتى أثر عنه قوله : ضعيف السنة عندى أولى من رأى الرجال . على عكس مذهب الإمام مالك وكان كثير الإتباع لآراء الصحابة حتى إذا كان عدد من الصحابة لكل منهم رأى فى مسألة واحدة فإنه يقول فى هذه المسألة بهذه الآثار جميعاً اتباعاً لهم . =

وابن ماجه(٩) من حديث ....

= ـ وصنف الإمام أحمد عدة مصنفات منها : كتاب العلل ، والزهد ، والتفسير ، والمسائل ، والناسخ والمنسوخ ، وغيرها ، وأعظم هذه المصنفات فائدة وأبقاها هو كتابه الخالد (المسند) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الذى احتوى على نحو أربعين ألف حديث منها عشرة آلاف حديث مكررة .

ـ وقد اختار هذه الأربعين ألفاً من نحو (٧٥٠) ألف حديث كان يحفظها متناً وسنداً ، ومسنده يعتبره بعض العلماء أجمع كتاب فى السنة ومن جملة أصولها ، وفيه زيادات ابنه عبد الله نحو عشرة آلاف حديث ، وعبد الله كان من رواة المسند عن أبيه ، وفى المسند نحو (٣٠٠) حديث ثلاثية الإسناد ليس بين أحمد فيها وبين رسولنا الكريم ﷺ إلا ثلاثة رواة .

ـ ويرى أبو موسى المديني وغيره أن مسند أحمد كل مافيه صحيح ولكن بعض العلماء يرى أن فيه عدة أحاديث منها ضعيف ومنها منكر .

ـ لقد جمع الإمام أحمد فى مسنده مرويات كل صحابى على حدة فى باب واحد ، فمرويات أبى بكر فى باب مستقل ، ومرويات الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه فى باب ، ومرويات عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وهكذا . وأولها المسانيد العشرة .

هذا ، وقد أعاد ترتيبه على أبواب العلم وشرحه الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتى) وسماه «الفتح الربانى» بترتيب مسند الإمام أحمد الشيبانى . [جزاه الله خيراً على مافعل] .

وشهد للإمام أحمد بن حنبل العلماء الأجلاء كالنسائى وغيره بالصدق والحجة والإتقان .

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى، ثقة فقيه ، وقد أفردت مناقبه فى مجلدات [ونلاحظ أن صاحب هذا الرأى شافعي المذهب ولكن علماء الإسلام الأجلاء لايعرفون أى نعرات مذهبية] .

وقد روى عنه خلق كثيرون من أشهرهم : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، ووكيع بن الجراح ، ويحيى ابن سعيد القطان ، وغيرهم من شيوخه وأقرانه وتلامذته وابناه صالح وعبد الله .

(٩) ابن ماجه (٢٠٩ هـ ـ ٢٧٣ هـ) هو أبو عبد الله بن زيد بن عبد الله بن ماجه الربعى القزوينى ، محدث قزوين فى عصره من غير منازع .

كان مولده سنة ٢٠٩ هـ ، وتوفى سنة ٢٧٣ هـ .

صنف ابن ماجه فى السنن ، والتفسير ، والتاريخ وله مصنفات عدة فيها ، وأشهر مصنفاته كتاب (سنن ابن ماجه) وجملة أحاديثه (٤٣٤١) منها (٣٠٠٢) أخرجها أصحاب السنن الخمسة قبله وباقيها وعددها (١٣٣٩) حديثاً هى زوائد ابن ماجه انفرد بها عنهم .

وسنن ابن ماجه سادس كتب الأصول فى السنة النبوية . كما يقول ابن طاهر المقدسى فى كتابه : «تذكرة الموضوعات» ، وعنه ردد كثيرون هذا الرأى .

وروى غيرهم أن السادس كتاب الدارمى .

ويرى آخرون أن موطأ مالك بن أنس يجب أن يكون السادس لصحته وجلالته ، وسنن ابن ماجه دون الثلاثة .

قال ابن الأثير واصفاً سنن ابن ماجه : كتاب مفيد قوى النفع فى الفقه ، لكن فيه أحاديث ضعيفة جداً .

ومن المعروف أن معظم كتب السنة خرّج العلماء أحاديثها ونصوا على درجة كل حديث فعرف الصحيح والحسن والضعيف وغيرها .
=

ابن مسعود[10] بزيادة فى آخره وهى :

«قيل : يارسول الله ومن الغرباء ؟ قال : **النزاع**[11] ....

= ويقول الذهبى : إن أحاديثه ليست كثيرة .

وقال الخليلى : ابن ماجه ثقة كبير ، متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ .

وكانت وفاته ٢٢ رمضان سنة ٢٧٣هـ .

(١٠) عبد الله بن مسعود هو أول من جهر بالقرآن الكريم أمام قريش . وكان من السابقين الأولين فى الإسلام ، بل كان سادس ستة اعتنقوا الدين الحنيف ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره . رأى إحدى معجزات النبى ﷺ عندما كان غلاماً يافعاً يرعى غنماً لعقبة بن معيط ، فجاء النبى ﷺ وأبو بكر الصديق وقد فرا من المشركين ، فقال : ياغلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقال : إنى مؤتمن ولست ساقيكما . فقال النبى ﷺ : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل ؟ قال : نعم : فأتى بها النبى ، فاعتقلها الرسول ﷺ ، ومسح الضرع ودعا ، فحفل الضرع ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة ، فاحتلب فيها فشرب ، ثم شرب أبو بكر ، ثم شرب ابن مسعود ، ثم قال النبى ﷺ للضرع : أقلص ، فقلص، فأتيته بعد ذلك فقال للرسول ﷺ : علمنى هذا القول . قال له الرسول ﷺ : إنك غلام معلم ، فأخذ ابن مسعود من فيه سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد .

وبعد رؤيته هذه المعجزة انبهر وأسلم دون أن يتردد ، وظل ملازماً للرسول ﷺ طوال حياته حتى انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى . وكان عبد الله بن مسعود قد أصبح حجة فى حفظ القرآن ، لأنه سمعه من فم سيد البشر ﷺ ، وحفظه كما سمعه . وكان النبى ﷺ يقول : «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد» . [أى عبد الله بن مسعود] .

وعندما أذن النبى ﷺ لبعض أصحابه بالهجرة هاجر عبد الله بن مسعود الهجرتين .. وكان قد بلغ مبلغ الرجال .. ثم عاد إلى مكة بعد أن ازداد عدد المسلمين ، وأخذ الإسلام يكتسب قوة وعزة ومنعة .. ولما أذن الرسول بالهجرة إلى المدينة .. هاجر عبد الله بن مسعود ونزل على معاذ بن جبل .. وهناك آخى النبى بين المسلمين .. فآخى بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام من المهاجرين ، وبينه وبين معاذ بن جبل من الأنصار . وكان حظه موفوراً من القرب من النبى ﷺ ، فقد بنى بيته بجوار مسجد الرسول ﷺ .

هذه النعمة التى أنعم الله بها على ابن مسعود جعلت الصحابة يتمنون لو كان لهم شىء منها .. فقد كانوا يقولون : إنه ليدخل إذا حجبنا ، ويشهد إذا غبنا .. ويعنون بذلك إنه كان يحظى أكثر منهم بالقرب من الرسول ﷺ .. ومما يدل على شدة حب رسولنا الكريم ﷺ لابن مسعود أنه كان يطلب إليه أن يقرأ عليه بعض آيات من القرآن الكريم .. وذات يوم قال له الرسول : اقرأ على ياعبد الله .. فقال ابن مسعود : أقرأ عليك .. وعليك أنزل يارسول الله .. فقال له النبى ﷺ : إنى أحب أن أسمعه من غيرى .

هذا ، وقد توفى الصحابى الجليل : عبد الله بن مسعود سنة ٣٢هـ وقيل ٣٣هـ ، ودفن بالمدينة بالبقيع .

(١١) والنزاع فى اللغة جمع نازع ونزيع ، وهو الغريب عن أهله وعشيرته . أى بَعُدَ وغاب . أى طوبى للمهاجرين الذين هاجروا أوطانهم فى الله تعالى .

من القبائل[١٢]» .

وخرّجه أبو بكر الآجرى[١٣] وعنده : «قيل : ومن هم يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس[١٤]» وخرّجه غيره وعنده «قال : الذين يفرون بدينهم

---

(١٢) الحديث رواه بان ماجه فى سننه كتاب أبواب الفتن ، باب (بدأ الإسلام غريباً) ،فى حديث رقم ٣٩٨٨ .

- ورواه أحمد فى مسنده (٣٩٨/١/حلبى) من نفس الطريق .
- ورواه الخطيب البغدادى فى شرف أصحاب الحديث (ص ٢٣ رقم ٣٩) .
- ورواه الدارمى فى كتاب الرقاق ، باب (إن الإسلام بدأ غريباً) حديث رقم ٢٧٥٨ .
- كما رواه الترمذى فى سننه ، كتاب الأدب ، باب : ماجاء فى كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث رقم (٢٦٢٩) من نفس الطريق ولم يذكر الزيادة «النزاع من القبائل» .

والحديث فيه سفيان بن وكيع الجراح ، أبو محمد الرواسى الكوفى ، كان صدوقاً ، إلا أنه ابتلى بوراقه ، فأدخل عليه ماليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه من العاشرة كما قال العسقلانى فى تقريب التهذيب . و«سفيان بن وكيع بن الجراح ، ضعف . وقال أبو زرعة: كان يتهم بالكذب» [المغنى فى الضعفاء ٢٤٨٩/٢٦٩/١] .

(١٣) الآجرى هو محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى . اسمه محمد وكنيته أبو بكر ، واسم أبيه الحسين ، واسم جده عبد الله ، والآجرى بفتح الألف وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة إلى آجر ، وهى بلدة غرب بغداد . أجمع العلماء على وصفه بالقدوة ، العالم ، العامل ، العابد ، الحافظ ، الصدوق ، الثقة الصالح الورع ، الزاهد ، الصاحب سنة واتباع .

كان مولد الآجرى فى رأينا سنة ٢٦٤هـ ، وكانت وفاته سنة ٣٦٠هـ .

وللآجرى حوالى (٣٠) مصنفاً كلها مخطوطة وقد طبع ٣ منها تقريباً طبعات رديئة لاتناسب مقام الرجل حسب علمى وفى مكتبتى الخاصة معظم أعماله وأتمنى أن أقوم بتحقيق هذه الأعمال المفيدة للمسلمين جميعاً إن شاء الله .

وقد قال محقق نسخة المكتبة القيمة لكتابنا هذا عن الآجرى كلاماً عجيباً ، فأحمد بن خالد بن يزيد هو غير الآجرى رجلنا بالمرة ، فرجلنا اسمه محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجرى ولنراجع فى ذلك :

معجم المؤلفين ٢٤٣/٩ ، والعقد الثمين ٣٤٣/٩ ، الأعلام للزركلى ٣٢٨/٦ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢٠٨/٣ ـ ٢٠١ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٦/٣ ، وطبقات الشافعية للسبكى ١٤٩/٣ ، والأنساب للسمعانى ٩٤/١ .

(١٤) الحديث رواه الإمام الشاطبى فى كتابه «الاعتصام : ١٦/التحرير» .

وقال محقق الاعتصام الأستاذ/ محمد رشيد رضا فى تعليقه على هذا الحديث :

«رواه الطبرانى وأبو نصر فى الإبانة عن عبد الرحمن بن سنة» .

ورواه الخطيب التبريزى فى «مشكاة المصابيح» (٦٠/١/ المكتب الإسلامى بتحقيق الألبانى) .

وقال الأستاذ الألبانى فى تعليقه على الحديث : رواه أبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن بسند صحيح .

من الفتن» وخرّجه الترمذى[١٥] من حديث كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ : «**إن الدين بدأ غريباً وسيرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى**»[١٦] .

---

(١٥) الإمام الترمذى (٢٠٠ هـ ـ ٢٧٩ هـ) هو محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذى أحد الأئمة الأعلام ، كان مولده سنة ٢٠٠ هـ وتوفى ٢٧٩ هـ . طاف البلاد وسمع من الخراسانيين والحجازيين ودخل بخارى وحدث بها .

قال الخليل فيه : ثقة متفق عليه .

وقال ابن حبان : مات البخارى ولم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد .

قال الإدريسى : كان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم .

صنف الترمذى : الجامع والتواريخ والعلل تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل فى الحفظ ، وكتابه الجامع «جامع الترمذى» أو «سنن الترمذى» معروف كما ألف الشمائل وأسماء الصحابة والأسماء والكنى .

قال عن كتابه «الجامع» :

«صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان ورضوا به ، ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى يتكلم» .

وكتاب (السنن) شرحه ابن العربى المالكى ، وشرح زوائده على الصحيحين أبو داود عمر بن الملقن وغيرهما .

وروى الترمذى عن البخارى وغيره من مشايخ بخارى وعن مسلم وإسماعيل بن موسى السدى .

كما روى عنه الهيثم بن كليب الشاشى ومحمد بن محبوب المروزى ومكحول بن الفضل .

(١٦) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الأدب ، باب ما جاء فى كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث رقم ٢٦٣٠ :

وأوله : «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعلقن الدين من الحجاز معقل الأرويه من رأس الجبل..» وذكر تمام الحديث .

ورواه السيوطى فى الفتح الكبير (١/٣٠٠/ط . الحلبى) ورواه السيوطى أيضاً فى كتابه «مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة» (ص ٤٠ / ط السلفية) .

والحديث فيه : كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن المازنى المدنى عن أبيه عن جده ، وعن محمد بن كعب ، ونافع . وعنه معن ، والقعنبى ، وإسماعيل بن أبى أويس ، وخلق .

قال ابن معين : ليس بشىء .

قال الشافعى وأبو داود : ركن من أركان الكذب .

قال الدارقطنى وغيره : متروك .

وضرب أحمد على حديثه .

=

وخرّجه الطبرانى[١٧] من حديث جابر[١٨] عن النبى ﷺ وفى حديثه : قيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « **الذين يصلحون حين فساد الناس** »[١٩] وخرّجه أيضاً من حديث

= وقال أبو حاتم : ليس بالمتين .
وقال النسائى : ليس بثقة .
وقال مطرف بن عبد الله المدنى : رأيته ، وكان كثير الخصومة ، لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه .
قال ابن حبان : له عن أبيه ، عن جده ، نسخة موضوعة .
أما الترمذى فروى من حديثه الصلح جائز بين المسلمين . وصححه فلهذا لايعتمد العلماء على تصحيح الترمذى .
قال ابن عدى : عامة مايرويه لايتابع عليه .
قال ابن حجر : ضعيف فى السابعة ، متهم من نسبه إلى الكذب .
[نراجع فى ذلك : ميزان الاعتدال (٦٩٤٣/٤٠٦/٣) وتقريب التهذيب (١٧/١٣٢/٢) والمغنى فى الضعفاء (٥٠٨٤/٥٣١/٢)] .

(١٧) الطبرانى هو الإمام الحجة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى ، الشامى ، ولد بعكا الفلسطينية سنة ٢٦٠ هـ ، ومات سنة ٣٦٠ هـ .
والطبرانى هو صاحب المعجم الكبير والأوسط والصغير ، ويقال أنه ولد بطبرية وليس بعكا وفى الحالين يكون ولد فى فلسطين العربية . ويقال أن وفاته كانت فى أصبهان .

(١٨) جابر هو اسم أكثر من علم من أعلام رواة الحديث النبوى الشريف :
جابر الأحمس أو جابر بن طارق ، وجابر بن الأسود الزهرى أمير المدينة ، وجابر بن زيد البصرى أبو الشعثاء ، وجابر بن سليم أبو جرى الهجيمى ، وجابر بن سمرة السوائى ، وجابر بن عبد الله الأنصارى أبو عبد الله وهو صاحب الحديث الذى أمامنا والمعروف عنه الأمانة والثقة فيما يقول ، وهناك أيضاً : جابر أو جبر بن عتيك أبو الربيع ، وجابر بن يزيد الجعفى .

(١٩) الحديث رواه الهيثمى فى كتابه : «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٢٧٨/٧) .
قال الطبرانى فى الأوسط : وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف وقد وثقه .
قال الذهبى : عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ، مكثر ، صالح الحديث ، له مناكير .
والصحيح أن البخارى روى عنه فى صحيحه
وروى عنه ابن معين .
قال أبو زرعة : كان حسن الحديث .
وقال الفضل الشعرانى : مارأيته إلا وهو يحدث أو يسبح .
وقال ابن عدى : هو عندى مستقيم الحديث وله أغاليط .
وقال أبو حاتم : لم يكن ممن يكذب .
وقال الحافظ : كان يكذب .
وقال النسائى : ليس بثقة .
وقال غيره : ضعيف . [راجع المغنى فى الضعفاء (٣٢١٨/٣٤٣/١)] .

شريك[٢٠] بن سعد بنحوه[٢١] وخرّجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص .

(٢٠) شريك هو اسم أكثر من علم قاموا برواية الحديث عن رسولنا الكريم ﷺ : شريك بن عبد الله بن أبى شريك ، وشريك بن حنبل ، وشريك بن سحماء ، ويقال له شريك بن عبده بن معتب ، وشريك بن شهاب، وشريك بن عبد المجيد ، أما شريك بن سعد هذا فهو ثقة صالح أمين وأعتقد أنه أشهر هؤلاء والله أعلم ورسوله .

(٢١) الحديث أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٧٨/٧) ، وقال : إن الطبرانى رواه فى الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة .

(٢٢) سعد بن أبى وقاص بطل القادسية وأحد العشرة المبشرين بالجنة ـ اعتنق الإسلام وعمره حوالى سبعة عشر عاماً . وشهد مع النبى ﷺ جميع الغزوات . كما كان مستجاب الدعاء . روى أن رسول الله ﷺ قال له : « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » [رواه الطبرانى] .

وفى قصة إسلامه كان له موقف حاسم مع أمه التى حاولت أن ترده عن دينه . فقد حلفت ألا تكلمه أبداً ولا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن الإسلام .. مذكرة إياه بأنه يزعم أن الله وصاه بوالديه قائلة له : أنا أمك وآمرك بهذا . وقد أمسكت عن الطعام والشراب ثلاثة أيام حتى سقطت مغشياً عليها وكادت تموت لولا أن أنقذها ابنها عمارة وسقاها . وسعد لا يأبه لها . فقد ثبت الله قلبه على الإيمان . ونزل فى ذلك قوله تعالى :

﴿وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفاً﴾ .

وكان البطل سعد شديد الحب لرسول الله ﷺ . وقد خاف عليه من غدر المشركين حين عاد إلى المدينة متعباً من السفر . فانتضى سعد سيفه وقام ليله حارساً لرسول الله ﷺ ، ولما علم الرسول ﷺ بذلك دعا له بالخير .

وكان من عادة رسول الله ﷺ إذا دعا لإنسان أن يقول له : « فداك أبى » كعادة العرب . ولكنه دعا لسعد : « فداك أبى وأمى » فكان أول من فاز بالجمع بين الأبوين فى الدعاء .

وفى يوم أُحد .. كان بجوار النبى ﷺ فرأى مشركاً يحاول أن يقتل أكبر عدد من المسلمين ، فأمره النبى ﷺ أن يرمى هذا المشرك بسهم ، فرماه ، فخر صريعاً ، وكانت العبارة التى قالها النبى ﷺ لسعد : « ارم فداك أبى وأمى » . وكان سعد أول من أراق دم مشرك فى الإسلام ، فقد كان مع عدد قليل من المسلمين الأوائل يصلون مستخفين من المشركين فى شعاب مكة ، فظهر نفر من المشركين وأخذوا يستهزئون بهم حتى تقاتلوا ، فما كان من سعد إلا أن ضرب رجلاً من المشركين بفك جمل فشجه ، أى جرحه ، وسال الدم منه . فكان هذا أول دم أهرقه مسلم من الكفار . وقد كان من بين الستة الذين اختارهم الفاروق عمر بن الخطاب ، وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى ، للتشاور فى أمر الخلافة . وقال عمر فى هؤلاء الستة : « إنهم الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ » .

وكان عمر قد رشح سعد بن أبى وقاص فى أثناء خلافته لعمل بطولى فدائى ضخم فقام به خير قيام . ذلك أن الفُرس كانوا قد أزمعوا أن يوحدوا صفوفهم ليطردوا المسلمين من المناطق التى دخلوها . ووصل الخبر إلى عمر فاستنفر الناس لقتالهم . عازماً أن يتولى القيادة بنفسه . ولكن الصحابة أشاروا عليه بالبقاء لتصريف أمور المسلمين . واختيار قائد صالح لهذه المهمة الصعبة . وبعد تفكير وبحث عن هذا القائد وقع الاختيار على البطل=

طوبى لهم

وفى حديثه : «**فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس**»[٢٣] وخرّج الإمام أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر[٢٤] عن النبى ﷺ قال : «**فطوبى للغرباء**» . قلنا : ومن الغرباء ؟ قال : «**قوم قليل من ناس سوء كثير . من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[٢٥] .

= سعد بن أبى وقاص .

كان سعد وقتها يقوم بجمع صدقات هوازن ، فاستقدمه الفاروق وولاه قيادة الجيش المسلم ، وقال له : «إنى وليتك حرب العراق .. فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه ، لا يخلص منه إلا الحق .. فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به . واعلم أن لكل أمر عتاداً ، وعتاد الحرب الصبر» .

وقد وفق البطل سعد بن أبى وقاص وهزم الجحافل الفارسية المجوسية هزيمة منكرة ، وارتفعت أعلام الإسلام ظافرة منتصرة ، واقترن اسم القادسية ببطولته .

وظل سعد : المؤمن ، البطل ، المجاهد ، الصابر يؤدى واجبه نحو الإسلام والمسلمين حتى توفى رضى الله عنه وأرضاه سنة ٥٥ هـ عن سبعين عاماً . ونور الإيمان يضئ جوانحه ، وحب الله ورسوله يملأ قلبه ووجدانه .

(٢٣) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده ١٧٧/٢ . كما رواه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان (٩٠/١) . ورواه الترمذى مختصراً عن عبد الله بن مسعود فى كتاب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

والحديث رواه البزار وأبو يعلى ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح .

ورواه ابن ماجه فى سننه كتاب أبواب الفتن ، باب بدأ الإسلام غريباً .

(٢٤) هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن صحابى جليل ، قرشى ، عدوى ، مدنى ، أسلم قبل أن يصل إلى سن البلوغ ، وهاجر إلى يثرب قبل أبيه عمر ، وتوفى بمكة المكرمة سنة ٧٣ هـ بعد مقتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر ، وقيل بستة أشهر .

(٢٥) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (١٧٧/٢) و(٢٢٢/٢) طبعة الحلبى وتمامه :

«... طوبى للغرباء !» فقيل : مَنْ الغرباء يارسول الله ؟ قال : «أُناس صالحون فى أُناس سوء كثيرة من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» . قال : وكنا عند رسول الله ﷺ يوماً أخر حين طلعت الشمس فقال رسول الله ﷺ : «سيأتى أُناس من أمتى يوم القيامة نورهم كضوء الشمس» قلنا : من أولئك يارسول الله ؟ فقال : «فقراء المهاجرين الذى تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره ، يحشرون من أقطار الأرض» .

والحديث أورده الهيثمى فى كتابه (مجمع الزوائد : ٢٧٨/٧) . وقال : رواه أحمد ، والطبرانى فى الأوسط . وفيه ابن لهيعة . وفيه ضعف .

والحديث فيه : عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمى أبو عبد الرحمن المصرى ، القاضى ، صدوق من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه . والله أعلم .

ورواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه أعدل من غيرهما ، وله فى مسلم بعض شئ مقرون .

مات سنة ٧٤ هـ ، عن ثمانين عاماً .

وروى عن عبد الله بن عمر مرفوعاً وموقوفاً[٢٦] فى هذا الحديث : قيل : ومن الغرباء ؟ قال : « **الفرارون[٢٧] بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم عليه السلام** » .

الذين يمقتهم الله

قوله : « **بدأ الإسلام غريباً** » يريد به أن الناس كانوا قبل مبعثه على ضلالة عامة . كما قال النبى ﷺ فى حديث عياض[٢٨] بن حمار الذى خرّجه مسلم : « **إن الله نظر**

---

(٢٦) الحديث الموقوف هو ماروى عن الصحابى من قول أو فعل أو تقرير ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ ومثاله قول الإمام ابن مسعود : « من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

هذا وإن كان لم يصدر عن الصحابى إلا بعد أن تحقق من أنه موافق لما جاء به الكتاب والسنة وبعد أن زادت خبرته بمصاحبته للرسول ﷺ وتعميق فهمه لمبادىء الإسلام وتعاليمه إلا أننا لانقدر أن نقول : إن هذا ومثله من المرفوعات يحتج به ولكن يمكن أن تستفيد منه عندما تكون المسألة التى أمامنا محل إجتهاد ونظر ولم يرد فيها نص من كتاب الله ولاحديث رسول الله ﷺ . والله أعلم .

(٢٧) الفرارون أو الفارون ، من الفعل (فرَّ) أى هرب ناجياً بدينه من إلفتن ، أو محافظاً عليه من البدع والفتن .

(٢٨) عياض اسم لأكثر من علم رووا الحديث النبوى الشريف : عياض وكانت بنت أسامة زوجته ، وأبو عياض مجهول لانعرفه ، وعياض بن عمرو الأشعرى ، وعياض بن عبد الله بن أبى سرح ، وعياض بن غطيف ابن الحرث ، وعياض بن غنم الأشعرى ، وعياض بن غنم الفهرى ، وعياض بن مرثد أو مرثد بن عياض ، وعياض بن هلال ، أما عياض بن حمار صاحب الحديث الذى خرّجه مسلم فهو عياض بن حمار المجاشعى ، روى له مسلم (حديث واحد) ، وروى له أبو داود (٣) أحاديث ، وروى له الترمذى حديثين فقط ، وروى له ابن ماجه حديثين ، وروى له أحمد بن حنبل فى مسنده حديثين أيضاً .

ويقال : أنه صحابى ، من سكان البصرة ، وعاش إلى حدود الخمسين من عمره .

أما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه فقد رواه مطولاً ، فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥) : وتمام الحديث : « ... إن رسول الله ﷺ قال ، ذات يوم فى خطبته : ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني ، يومى هذا . كل مال نَحَلْتُهُ عبداً ، حلال . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم . وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ماأحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك . وأنزلت عليك كتاباً لايغسله الماء . تقرؤه نائماً ويقظان . وإن الله أمرنى أن أحرق قريشاً . فقلت : ربِّ ! إذا يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة . قال : أستخرجهم كما استخرجوك . وأغزهم نغزك . وأنفق فسننفق عليك . وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله . وقاتل بمن أطاعك من عصاك . قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ، ومسلم ، وعفيف متعفف ، ذو عيال . قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذى=

إلى أهل الأرض فمقتهم(٢٩) عربهم وعجمهم(٣٠) إلا بقايا من أهل الكتاب(٣١)» .

= لازَبْرَ له ، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً . والخائن الذى لا يخفى له طمع ، وإن دق إلا خانه . ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك على أهلك ومالك» .

وذكر البخل أو الكذب «والشنظير الفحاش» ولم يذكر أبو غسان فى حديثه : «وأنفق فسننفق عليك» . ا . هـ .

(٢٩) من مقت ـ (مقته) أبغضه من باب نصر فهو (مقيت) و (ممقوت) . ونِكاح (المقت) كان فى الجاهلية أن يتزوج الرجلُ امرأةَ أبيه .

(٣٠) من عجم ـ العجم بفتحتين النوى وكل ما كان فى جوف مأكول كالزبيب ونحوه . والواحد (عجمة) . ويقال : ليس لهذا الرُمان (عجم) .

أيضاً ضد العرب .. الواحد (عجمى) و (العجم) بالضم ضد العرب . وفى لسانه (عُجْمة) . و (العجماء) البهيمة . وفى الحديث : «جرح العجماء جبار» وإنما سميت عجماء لأنها لا تتكلم .

وكل من لا يقدر على الكلام أصلاً فهو (أعجم) و (مستعجم) . و (الأعجم) أيضاً الذى لا يفصح ولا يبين كلامه . وإن كان من العرب والمرأة (عجماء) . و (الأعجم) أيضاً الذى فى لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية . ورجلان (أعجميان) وقوم (أعجمون) و (أعاجم) ، قال الله تعالى :

﴿لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ...﴾ [النحل : ١٠٣] .
﴿... أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ [فصلت : ٤٤] .
﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته﴾ [فصلت : ٤٤] .
﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين . فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء : ١٩٨] .

وينسب إليه فيقال : لسان (أعجمى) وكتاب (أعجمى) . ولا يقال : رجل أعجمى فينسب إلى نفسه إلا أن يكون (أعجم) و (أعجمى) بمعنى مثل دوارٍ ودوارى وجمل قعسرىٍ . هذا إذا ورد وروداً لا يمكن رده . وصلاة النهار (عجماء) لأنه لا يجهر فيها بالقراءة . و (العجم) العضُّ . وقد (عجم) العود من باب نصر إذا عضه ليعلم صلابته من خوره . و (العَجْم) النقط بالسواد كالتاء عليها نقطتان يقال : (أعجم) الحرف و (عَجَّمه) أيضاً تعجيماً ولا يقال عجمه .

ومنه حروف (المعجم) وهى الحروف المقطعة التى يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم . ومعناه حروف الخط المعجم كقولهم مسجد الجامع وصلاةُ الأولى أى مسجد اليوم الجامع وصلاة الساعة الأولى . وناس يجعلون المعجم بمعنى الإعجام مصدراً مثل المخرج والمدخل أى من شأن هذه الحروف أن تعجم .

و (أعجم) الكتاب ضد أعربه . و (استعجم) عليه الكلام استبهم .

(٣١) المقصود بأهل الكتاب كل من تمسك بالله وبما أنزل على أنبيائه ورسله والبعض يقصرهم على إتباع التوراة والإنجيل فقط والله أعلم .

الاســـتجابة والخـــوف

فلما بُعِثَ النبى ﷺ ودعا إلى الإسلام لم يستجب له فى أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب[٣٢] له خائفاً من عشيرته[٣٣] وقبيلته يؤذَى غاية الأذى[٣٤] ويُنال[٣٥] منه وهو صابر على ذلك فى الله عز وجل ، وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين[٣٦] يشردون كل مشرد ويهربون بينهم إلى البلاد النائية كما هاجروا إلى الحبشة مرتين[٣٧] .

---

(٣٢) الذى يقتنع بكلام الرسول ﷺ وبالقرآن الكريم .

(٣٣) أهله وأسرته .

(٣٤) يتعرض لأشد أنواع الأذى .

(٣٥) أى يتعرض للأذى والعذاب والمشقة ، الجلد ، والكى بالنار ، والرجم ، والعطش ، والجوع ، والخوف ، والسجن ، والتشريد ، والأذى فى الأهل والنفس ، والطرد ، وتحميله مافوق طاقته ـ كل ذلك يرضى به وهو صابر قانع لوجه الله تعالى . غير مهتم بهؤلاء الذين يشنون عليه حملات التشهير والإرهاب فالله خير حافظ .

(٣٦) إنهم ليسوا بضعفاء ولكن أهل الشرك والجبروت استضعفوهم ، شردوهم بكل ألوان التشريد ، لذلك هربوا من وجه الشرك إلى بلاد بعيدة لاتصل إليها يد هؤلاء الجبابرة .

(٣٧) كان الرحيل إلى الحبشة تسللاً فى الخفاء ، حتى لاتستيقظ قريش للأمر فتحبطه ، ولم يبدأ كذلك على نطاق واسع ، بل كان الفوج الأول مكوناً من بضع أُسر ، فيهم رقية ابنة النبى ﷺ وزوجها عثمان بن عفان ، ونفر آخر من المهاجرين لم يزيدوا جميعاً على ستة عشر . وقد يمموا شطر البحر الأحمر حيث قيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة « فلما خرجت قريش فى آثارهم إلى الشاطىء كانوا قد انطلقوا آمنين . ولم يمكث أولئك المهاجرون طويلاً حتى ترامت إليهم الأخبار بأن المشركين هادنوا الإسلام وتركوا أهله أحراراً ، وأن الإيذاء القديم انقطع فلا بأس عليهم إن عادوا .

وتركت هذه الإشاعة أثرها فى قلوب المؤمنين ، فقرروا العودة إلى وطنهم الأم . حتى إذا اقتربوا من مكة تبينت لهم الحقيقة المحزنة : وعرفوا أن المشركين أشد مايكونون خصاماً لله ورسوله والمؤمنين ، وأن عدوانهم لم ينقطع يوماً ..

ويزعم بعض (المغفلين) أنه وقعت هدنة حقاً بين الإسلام والوثنية أساسها أن محمد ﷺ تقرب إلى المشركين بمدح أصنامهم والاعتراف بمنزلتها !!! وأن هذه الهدنة الواقعة هى التى أعادت المسلمين من الحبشة .

وماذا قال محمد ﷺ فى مدح الأصنام ؟ يجيب هؤلاء المغفلون بأنه قال : (تلك الغرانيق العلا . وإن شفاعتهم لترتجى) !!!؟

وأين وضعوا هذه الكلمات؟! وضعوها فى سورة «النجم» مقحمة وسط الأيات التى جاء فيها هذه الأصنام . فأصبحت هكذا .

﴿ أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى (تلك الغرانيق العلا . إن شفاعتهم لترتجى) ألكم الذكر=

= وله الأنثى . تلك إذًا قسمة ضيزى . إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس ... ﴾ .

ويكون معنى الكلام على هذا خبرونى عن أصنامكم : أهى كذا وكذا ؟ إن شفاعتها مرجوة ، إنها أسماء لاحقائق لها. خرافات ابتدعت واتبعت مالكم جعلتموها إناثاً ونسبتموها لله وأنتم تكرهون نسبة الإناث لكم ؟ فهل هذا الكلام يصدر عن عاقل فضلاً عن أن ينزل به وحى حكيم ؟!

ولكن هذا السخف وجد من يكتبه وينقله !!

إن محمداً ﷺ لو كذب على الله باختلاق كلام عليه لقطع عنقه بنص الكتاب الذى جاء به . قال الله جل شأنه :

﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما مِنكم من أحدٍ عنه حٰجزين﴾ [الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧] .

بيد أن كتب التاريخ والتفسير التى تركت للوراقين والزنادقة يشحنونها المفتريات اتسعت صفحاتها لذكر هذا اللغو القبيح . ومع أن زيفه وفساده لم يخفيا على عالم إلا أنه ماكان يجوز أن يدون مثله .

أننا عندما نفتح كتاب تفسير «الخازن» ونقرأ تفسيره لسورة (هود) فنقرأ مايلى : لما كثرت الأرواث فى سفينة نوح أوحى الله إليه أن ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ، ومسح على الخنزير فوقع منه الفارة . فأقبلوا على الروث فأكلوه .فلما أفسد الفأر فى السفينة وجعل يقرضها ويقطع حبالها ، أوحى الله إليه أن اضرب بين عينى الأسد ، فضرب فخرج من منخره قط وقطة . فأقبلا على الفأر فأكلاه !!!

أرأيت هذا الكلام الفارغ ؟ أرأيت من قبله حديث الغرانيق ؟ إن كثيراً من هذه الخرافات الصغيرة توجد فى كتب شتى عندنا . ولاندرى متى نطهر هذه الكتب القديمة منها . فهى لا ريب مدخولة عليها أيام غفلة المسلمين وغلبة الدسائس الإسرائيلية على أفكارهم ومخطوطاتهم .

والذى ورد فى الصحيح أن الرسول ﷺ قرأ سورة «النجم» فى محفل يضم مسلمين ومشركين ، وخواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب . فلما أخذ صوت الرسول ﷺ يهدر بها ويرعد بنذرها حتى وصل إلى قول الله :

﴿والمؤتفكة أهوى . فغشاها ماغشى . فبأى آلاء ربك تتمارى . هذا نذير من النذر الأولى . أزِفت الأزفة . ليس لها من دون الله كاشفة . أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولاتبكون . وأنتم سٰمِدون﴾ [النجم : ٥٣ ـ ٦١] .

كانت روعة الحق قد صدعت العناد فى نفوس المستكبرين والمستهزئين ، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين ، مع غيرهم من المسلمين . فلما نكسوا على رؤوسهم وأحسوا أن جلال الإيمان لوى زمامهم ، ندموا على ماكان منهم ، وأحبوا أن يعتذروا عنه ، بأنهم ماسجدوا مع محمد ﷺ إلا لأن محمداً ﷺ عطف على أصنامهم بكلمة تقدير !!

أين الدليل النقلى عن هذا الاعتذار ؟ وإن المشركين هم الذين اختلقوا فريتهم هذه وحاولوا نشرها ؟ مثل هذه الأمور لابد لها من دليل منقول ، وماالمانع أن تكون هذه الفرية حديث من بعد ؟ وهذا هو الأقرب ، فإنها ــ أعنى هذه الفرية ــ لم ترو بسند معتبر عن صحابى ، بل كل طرقها مرسلة لايدرى من الذى حدث بها ممن يمكن أن يدرك عصر النبوة والرسالة .

والذى أعرفه أن أستاذنا الداعية الكبير / محمد الغزالى له كتاب قيم فصل فيه القول فى بطلان هذه القصة =

=من الوجهة الحديثة واسمه «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» والذى أعرفه أيضاً أنه لم يطبع للآن وأتمنى أن يطبعه أستاذنا الفاضل كى تعم الفائدة منه على المسلمين جميعاً ، كى يقاوموا مثل هذه الأباطيل

أعود لأقول أنه ليس يستغرب هذا من قوم كانوا يؤلفون النكات للضحك من المسلمين . ولا يستحى أحدهم ـ وهو ابن خال النبى ﷺ ـ أن يقول له ساخراً : كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟!

وليس أسمج من اعتذار المشركين عن سجودهم إلا تصديق هذا الاعتذار .. قد حاول المشركون أن ينشروا فريتهم هذه ليعكروا على الرسول ﷺ ويشوشوا على الوحى وليوهموا بأن محمداً ﷺ فى بعض أحيانه مال إليهم . وهيهات فإن الحرب التى شنها محمد ﷺ على الوثنية لم تزدها الليالى إلا ضراماً ، ولم تزده من عبيدها إلا خصاماً .

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين فكان عدد المهاجرين فى المرة الأولى اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ثم رجعوا عندما بلغتهم قصة الغرانيق وسورة النجم فلقوا من المشركين أشد مما عهدوا فهاجروا ثانية وكانوا ٨٣ رجلاً إن كان فيهم عمار ففيه خلاف بين أهل النقل وثمانى عشر امرأة إحدى عشرة قرشيات وسبعاً غرباء . وبعث القرشيون شأنهم إلى النجاشى مرتين ، الأولى عند هجرتهم والثانية عقيب وقعة بدر ، وكان عمرو بن العاص رسولاً فى المرتين ومعه فى إحداهما عمارة بن الوليد ، وفى الأخرى عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميان . وواضح أن النجاشى هذا كان رجلاً راشداً نظيف العقل ، حسن المعرفة لله ، سليم الاعتقاد فى عيسى ابن مريم عبد الله عليه السلام . وكانت مرونة فكره سر المعاملة الجميلة التى وفرها لأولئك اللاجئين إلى مملكته ، فارين بدينهم من الفتن .

كما أنه رفض تسليمهم لعمرو المبعوث الرسمى لقريش والذى كان النجاشى يعرفه شخصياً ناهيك عن حاشيته رغم هداياه ورشاويه لحاشيته .

وتسجل كتب التاريخ والسيرة بين دفتيها ذلك الحوار الممتع الذى دار بين جعفر بن أبى طالب زعيم المهاجرين للحبشة ، وعمرو بن العاص مندوب قريش لأخذ المسلمين ـ كان ذلك أمام النجاشى وأفحم جعفر (عمرو) الذى أخفقت حيلته لإحراج المسلمين أمام النجاشى الذى اقتنع بكلام جعفر وأكد أن الإسلام لا يختلف فى مبادئه عن المسيحية .

أما عن هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة (يثرب) وقبله أهل الإسلام الذين عانوا الأمرين من ظلم وقهر أهل الكفر ـ فأحيل ـ القارىء العزيز ـ إلى سيرة ابن هشام ، وإلى الروض الأنف للسهيلى ، وإلى كتاب : السيرة النبوية المسمى عيون الأثر فى فنون المغازى والسير لمؤلفه : محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس المتوفى ٧٣٤هـ ، وليراجع القارىء فى الكتاب الأخير الفصول التالية : (ذكر الهجرة إلى المدينة ـ ذكر يوم الزحمة ـ ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار ـ أحاديث الهجرة وتوديع رسول الله ﷺ مكة ـ حديث الغار ـ حديث الهجرة وخبر سراقة بن مالك بن جعشم ـ حديث أم معبد ـ ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار ـ ذكر دخوله ﷺ المدينة ـ بناء المسجد ـ ذكر الموادعة بين المسلمين واليهود ـ شرح ما فى الخبر السابق من الغريب ـ ذكر المؤاخاة)

كما أحيل القارىء إلى كتاب أستاذنا الشيخ/ محمد الغزالى (فقه السيرة) وسيجد القارىء فى حديثه عن الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة ما يفيده ويوقفه على عظمة الإسلام والمسلمين وكيفية تفنيد بعض ما ردده ضعاف النفوس من أباطيل .

الهجـرة إلـى المدينـة

ثم هاجروا إلى المدينة وكان منهم من يُعذب فى الله ومنهم من يُقتل فكان الداخلون إلى الإسلام حينئذ غرباء ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة وعزّ وصار أهله ظاهرين كل الظهور[38] ودخل الناس بعد ذلك فى دين الله أفواجاً[39] وأكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة[40] وتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك .

الإســتقامة والتعاضـد

وأهل الإسلام على غاية من الاستقامة فى دينهم وهم متعاضدون[41] متناصرون وكانوا على ذلك فى زمن أبى بكر[42] وعمر رضى الله عنهما[43] ثم عمل الشيطان

---

(٣٨) أى منتصرين بإذن الله كل النصر .

(٣٩) مقتبسة من قوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾ وهى سورة النصر التى نزلت بمنى المكرمة فى حجة الوداع ، لذلك تعد سورة مدنية ، وهى آخر مانزل من السور وآياتها (٣) نزلت بعد سورة التوبة .

(٤٠) كلامه مقتبس من قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلام ديناً فمن اضطر فى مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ وهى الآية رقم (٣) من سورة المائدة وهى سورة مدنية إلا آية (٣) فنزلت بعرفات فى حجة الوداع ، وآياتها (١٢٠) آية نزلت بعد سورة الفتح .

(٤١) من عضد ـ و (العضد) هو الساعدُ وهو من المِرفق إلى الكتف . وفيه أربع لغات : (عضد) بضم الضاد وكسرها وسكونها و (عُضْد) بوزن (قُفل) . و (عضده) من بابَ نصر أى أعانه . وعضد الشجر من باب ضرب أى قطعه . و (المعاضدة) المعاونة و (اعتضد) به استعان .

(٤٢) أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه ـ هو عبد الله بن أبى قحافة ، أول من دخل الإسلام ، وكان فى القمة من تصديق النبى ﷺ فلقب بالصديق ، أنفق كل ماله فى مناصرة الدعوة الإسلامية الغرّاء ، وكان أول من خطب داعياً إلى الإسلام الحنيف ، وأسلم على يديه خمسة من عظماء الصحابة هم : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوْف ، وطلحة بن عبيد الله ، وهو أول العشرة المبشرين بالجنة . وقد أخبر النبى ﷺ أن إيمانه يزن إيمان الأمة ، وهو صاحب النبى ﷺ فى رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة ، وهو أول الخلفاء الراشدين ، وهو الذى قاد حرب المرتدين ، وبه ثبت الله أركان الخلافة الإسلامية ، وفتح فى عهده كثيراً من بلاد فارس والروم .

(٤٣) الفاروق عمر بن الخطاب ، بدخوله الإسلام فرق بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية الغرّاء مرحلة السر ، ومرحلة الجهر . هو الخليفة الراشد الثانى ، وأول من سمى أمير المؤمنين ، ولا أحد يستحق أن يسمى بهذا الاسم غيره ، وهو ثانى العشرة المبشرين بالجنة . ويقال أنه سمى الفاروق لشدة تفريقه بين الحق=

مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم وأفشى فيهم فتنة الشبهات والشهوات ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئاً فشيئاً حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق فمنهم من ضل فى طاعته فى فتنة الشبهات ومنهم من دخل فى فتنة الشهوات ومنهم من جمع بينهما وكل ذلك مما أخبر النبى ﷺ بوقوعه[٤٤] .

سبعون فرقة .. والله أعلم

فأما فتنة الشهوات فقد روى عن النبى ﷺ من غير وجه أن أمته ستفترق على أزيد من سبعين فرقة[٤٥] على اختلاف الروايات فى عدد الزيادات على السبعين وأن جميع تلك الفرق فى النار إلا فرقة واحدة وهى ما كانت على ما هو عليه وأصحابه ﷺ .

=والباطل . اشتهر منذ صباه بالحكمة وسداد الرأى والعدالة المطلقة إلى جانب فروسيته وشجاعته وقوته فى الحق .
ومن أهم ملامح شخصيته الغيرة الشديدة على العرب وقومه ولعل ذلك مما أخر إسلامه ، فقد ظن أن محمد ﷺ جاء ليسلب قومه السيادة والزعامة ، ولكنه فهم الإسلام ودعوته ، فدخل فى دين الله .
أسلم الفاروق فى السنة السادسة للدعوة واعتبر إسلامه عزاً ونصراً للإسلام والمسلمين ، شهد مع الرسول ﷺ سلسلة الوقائع التى خاضها المسلمون بعد الهجرة للمدينة ، وتولى الخلافة عام ١٣ هـ ، دامت خلافته حوالى ١١ سنة ، وكانت خلافته مثالاً نادراً لم ولن يتكرر فى الإصلاح السياسى والإدارى والمالى .
استشهد عمر رضى الله عنه بطعنة غادرة من المجوسى الزنديق أبى لؤلؤة وهو يصلى بالمسلمين صلاة الصبح عام (٢٤ هـ) .

(٤٤) دخل أهل الإسلام إلى دين التعاون والتآخى والأخوة والاستقامة أفواجاً ، وأعزهم الله ، وأكمل لهم دينهم ، ووصلوا إلى قمة الخير والمثالية فى عهد الصديق والفاروق . ولم يتركهم الشيطان اللعين فى حالهم ، فألقى بأسهم الخلاف والفرقة بينهم ، ونشر وذاع فيهم الشبهات والشهوات الدنيوية الزائلة ، وظل يفعل هذا حتى استحكمت مكائده ومشى فى ركابه أكثر الخلق ، مشوا فى ركاب الشبهات والشهوات أو جمعوا بينهما .
والنبى ﷺ أخبرنا عن ذلك ، وعرفنا به وطلبَ منا الحيطة والإتقاء ، فما ينطق عن الهوى ، ما هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى .

(٤٥) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منهم واحدة ، والباقون هلكى » .
قيل : ومن الناجية ؟
قال : « أهل السنة والجماعة » .
قيل : وما السنة والجماعة ؟
قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابى » .
لقد أثار هذا الحديث تفتن كثير من مؤرخى الفرق الإسلامية ، فخيل إليهم . أنه من المحتم عليهم أن يبلغوا الحد الذى ذكر هذا الحديث ـ و « الشهرستانى » المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ـ ١١٥٣ م ذكر هذا الحديث فى مستهل=

= كتابه : «الملل والنحل» . ثم أخذ فى تعداد الفرق ، وحصرها فى العدد المذكور . وكأنه قد تيقن أنه سوف لاتنشأ ، حقيقة فرق بعده .

وكأنه قد تيقن ـ أيضاً ـ أنه أحاط بكل ما كان يموج به العالم الإسلامى فى زمنه ـ على سعته ـ من آراء .

ولقد زاد عدد الفرق عند الإمام الرازى الذى قال كالمعتذر : فإن قيل إن هذه الطوائف التى عددتهم أكثر من ثلاث وسبعين ، ورسول الله ﷺ لم يخبر بأكثر ، فكيف ينبغى أن يعتقد فى ذلك ؟

والجواب عن هذا : أنه يجوز أن يكون مراده ﷺ من ذكر الفرق ، الكبار . وماعددنا من الفرق ليست من الفرق العظيمة .

وأيضاً فإنه أخبر : أنهم يكونون على ثلاث وسبعين فرقة ، فلم يجز أن يكونوا أقل : وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك .

كيف ولم نذكر فى هذا المختصر كثيراً من الفرق المشهورة ؟ ولو ذكرناها كلها مستقصاة لجاز أن يكون أضعاف ماذكرناه : بل ربما وجد فى فرقة الروافض ـ وهم الإمامية ـ ثلاث وسبعون فرقة [راجع اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي/٧٤ـ٧٥]

وقد صنع كثير غير الشهرستانى والرازى صنيعهما فى حصر هذه الفرق ، وعدها.

قال «ابن الجوزى» فى كتابه «تلبيس إبليس» ، بعد أن ذكر أن أصول الفرق هى «الحرورية» ، و«القدرية» ، و«الجهمية» و«المرجئة» ، و«الرافضة» ، و«الجبرية» .

وقد قال بعض أهل العلم : «أصل الفرق ، هذه الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها اثنتى عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة» .

لقد أراد بعض أهل العلم ، أن يتخلصوا من حصر الفرق ، فكان منهم هذا التقسيم السهل الساذج الذى يرتكز على المساواة فى تقسيم كل أصل من أصول الفرق .

وإذا كان مؤرخو الفرق قد تعسفوا فى تعدادها ، فإن رجال الفرق أنفسهم قد دافع كل منهم عن فرقته ، ورأى أنها ـ وحدها ـ هى الناجية ، أما ماعداها فهو فى النار .

وقد وصل بهم الأمر فى تبرير رأيهم أن يتلقفوا كل مايتوهمون أنه يساعدهم ، ولو كان باطلاً يدعو إلى السخرية ، أو مجرد تخيل لايقام له وزن .

وهاك مثالاً على ذلك ذكره صاحب «العقائد العضدية» : «قال ابن «المطهر» الحلى فى بعض تصانيفه :

قد باحثنا فى هذا الحديث مع الأستاذ «نصير الدين» ابن «محمد» الطوسى فى تعيين المراد من الفرق الناجية ، فاستقر الرأى على أنه : ينبغى أن تكون تلك الفرقة مخالفة لسائر الفرق ، مخالفة كثيرة ، وماهى إلا «الشيعة الإمامية» فإنهم يخالفون غيرهم من جميع الفرق ، مخالفة بينة ، بخلاف غيرهم من الفرق ، فإنهم يتقاربون فى أكثر الأصول .

قلتُ : أكثر الشيعة يوافق المعتزلة فى أكثر الأصول ، ولايخالفها إلا فى مسائل قليلة ، أكثرها يتعلق بالإمامة ، وهى بالفروع أشبه ، بل الأليق بذلك هم الأشاعرة ، فإن أصولهم مخالفة لأكثر أصول المذاهب ، ولايوافقهم فيه غيرهم . كمسألة الكسب ، وجواز رؤية الله تعالى ـ مع كونه غير جسم ـ وتنزهه عن المكان ، والجهة ؛ بل جوزوا رؤية كل موجود من الأعراض وغيرها ، حتى جوزوا رؤية الأصوات ، =

=والطعوم ، والروائح ، وجوزوا رؤية أعمى العين (بقه) بالأندلس ، واستناد الممكنات كلها إلى الله تعالى ، ابتداء ، وكون صفاته : لا هي عين الذات ولا غيرها ، والفرق بين الإرادة والرضا ، إلى غير ذلك من المسائل التي شنع مخالفوهم عليها فيها » [راجع العقائد العضدية/٣] .

أرأيت ـ أيها القارئ المفضال ـ كيف يتخذ الاختلاف ، والإغراق في الابتعاد عن الآخرين أساساً للنجاة !!؟

ولو اتبعنا هذا الأساس لكان الإغراق في الإلحاد أساساً للنجاة ، بل لكان التخريف ، أو تخيلات المجانين والمعاتيه ، أكثر قرباً للنجاة : لأنها أكثر ابتعاداً عن آراء الآخرين .

الفرقة الناجية !!.. إنها المعتزلة في رأى المعتزلة ، وهي الكرامية ، في رأى الكرامية ، وهي المشبهة . وكل فرقة ترى أن مَنْ عداها في النار ..

ولكن ما الرأى في هذه المشكلة التي أثارها هذا الحديث ؟ مَنْ هي الفرقة الناجية ؟ ومن هي الفِرَق الهلكى ؟ وهل انتهت الفرق إلى العدد المذكور في الحديث ؟

إذا تجرد الإنسان ، نوعاً ما ، من عصبيته لفرقته ، فما هو شعوره أمام هذا الحديث ؟

● إن هذا الحديث الذي ذكره « الشهرستاني » وتقيد به ، وأورده « البغدادي » في « الفَرْق بين الفِرَق » وجعله صاحب « المواقف » في مستهل بحثه عن الفرق .

هذا الحديث لم يتقيد به « ابن حزم » في « الفصل » ولم يتقيد به « الرازي » في كتابه « **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** » .

ثم إنه لم يرو في واحدٍ من الصحيحين : البخاري ومسلم . نعم ، رواه أبو داود والترمذي .

نعم ، رواه الحاكم وابن حبان ، وصححوه عن أبي هريرة ، وكان لفظه عندهم :

« افترقت اليهود على إحدى ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى كذلك . وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار ، إلا واحدة » .

قالوا : من هي يا رسول الله ؟

قال : « ما أنا عليه وأصحابي » .

ولكن مما يدعو إلى الارتياح ويثلج الصدور : أن الإمام الشعراني في ميزانه قد روى من حديث ابن النجار ، وصححه الحاكم بلفظ « غريب » وهو :

« ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة ، كلها في الجنة إلا واحدة » .

وفي رواية عن « الديلمي » : « الهالك منها واحدة » .

وفي هامش الميزان ، عن أنس ، عن النبي ﷺ بلفظ : « تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، كلها في الجنة إلا الزنادقة » .

وما في هامش الميزان هذا : مذكور في تخريج أحاديث مسند الفردوس « للحافظ ابن حجر العسقلاني » .

ولفظه : « تفرق على بضع وسبعين فرقة ، كلها في الجنة إلا واحدة ، وهي الزنادقة » ، أسنده عن أنس .

وقال صاحب كشف الخفاء : ولعل وجه التوفيق : أن المراد بأهل الجنة في الرواية الثانية ولو مآلا . فتأمل » .

وفي رأينا الخاص : أنه إذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بهذا الحديث ، وبمعنى آخر فيما يتعلق بافتراق الأمة ، يهدف إلى التمييز بين نوعين من الافتراق . =

فتنــة الشــهوات

وأما فتنة الشهوات ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : «**كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ، أى قوم أنتم ؟**» قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله . قال : «**أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون. ثم تتدابرون**[٤٦]» . وفى صحيح البخارى عن عمرو بن عوف[٤٧] عن النبى ﷺ قال : «**والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما**

= نوع هو «أحزاب دينية» ، ونوع هو «فرق دينية» أما الأحزاب الدينية : فلا شأن لها ـ باعتبارها أحزاباً ـ بالعقائد إلا عرضاً .

وأما الفرق الدينية : فإنه لا شأن لها ـ باعتبارها فرقاً ـ بالحكم إلا عرضاً .

والأحزاب الدينية هى : «الشيعة» و«الخوارج» .

والفرق الدينية هى : «المشبهة» و«المعتزلة» ، و«الأشاعرة» .

وابن خلدون له رأى فى تقسيم الفرق : لقد بين أولاً رأى السلف ، ثم تحدث عن المشبهة فى الذات ، ثم ذكر المشبهة فى الصفات ، ثم ذكر المعتزلة ونشأتهم ، عندما تقدمت العلوم والصنائع ، وولع الناس بالتدين والبحث . ثم تحدث عن الأشاعرة .

ولم يتحدث عن الشيعة كفرقة ، ولا عن الخوارج ، ولا عن المرجئة ، وبين أن الإمامة ليست من العقائد ، وإنما هى من الأمور المصلحية : شيعة وخوارج هما أحزاب دينية ، ومرجئة هى نزعة ، وجهمية هى فكرة فردية ، ومشبهة ، ومعتزلة ، وأشاعرة ، وتيميون : تلك فرق دينية .

والفرقة الناجية هى إذن : ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه . إنها السلف ، إنها ناجية من بلبلة الفكر ، ومن ضلالات الأوهام ، ومن زيغ العقول ؛ وهى تمثل الإطمئنان التام . والشهرستانى ، يسميها : «طريق السلامة» والله أعلم ورسوله .

(٤٦) حديث رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، رواه فى كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٢) ، وليس فيه لفظة : «خزائن» إنما نص الحديث رواه ابن ماجه فى سننه فى كتاب : «أبواب الفتن» باب فتنة المال ، حديث رقم (٣٩٩٦) . وتمامه : «... أو نحو ذلك ثم تنطلقون فى مساكين المهاجرين ، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض» .

ومعنى التنافس إلى الشئ المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه ، وهو أول درجات الحسد أما الحسد فهو تمن زوال النعمة عن صاحبها .

والتدابر هو التقاطع . وقد يبقى مع التدابر شئ من المودة ، أو لا يكون مودة ولا بغض ، وأما التباغض فهو بعد هذا . ولهذا رتبت فى الحديث .

(٤٧) عمرو بن عوف الأنصارى روى له البخارى (٣) أحاديث ، وروى له مسلم حديثاً واحداً ، وروى له ابن ماجه حديثاً واحداً أيضاً ، كما روى له أحمد فى مسنده مرتين . وهناك أيضاً عمرو بن عوف بن زيد المزنى روى له البخارى ، والترمذى ، وابن ماجه ، والدارمى .

بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم[48]» .
وفى الصحيحين[49] من حديث عقبة بن عامر[50] عن النبى ﷺ معناه أيضاً .

الخشية من مضلات الهوى

ولما فتحت كنوز كسرى[51] على عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى فقال : إن هذا لم يفتح على قوم قط[52] إلا جعل الله بأسهم بينهم . أو كما قال .

وكان النبى ﷺ يخشى على أمته هاتين الفتنتين[53] كما فى مسند الإمام أحمد عن أبى

---

(٤٨) الحديث رواه البخارى فى صحيحه (٣١٥٨/١/٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥ / فتح البارى) .
ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الزهد والرقاق حديث رقم ٢٩٦١ .
ورواه الترمذى فى سننه (٢٤٦٢/٢٨/٣٨) ، ورواه ابن ماجه فى سننه أيضاً (٣٩٩٧/١٨/٣٦) .
(٤٩) يقصد صحيح البخارى ، وصحيح مسلم .
(٥٠) عقبة بن عامر بن عابس ، ويقال : ابن عبس الجهنى أبو الأسود ، روى الكثير من أحاديث الرسول ﷺ .
(٥١) يقصد الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس التى كان يحكمها كسرى أنوشروان .
(٥٢) أبــداً .
(٥٣) من فتن ـ و (الفتنة) الاختبار والامتحان . تقول : (فتن) الذهب يفتنه بالكسر (فتنة) و (مفتوناً) أيضاً إذا أدخله النار لينظر ما جودته . ودينار (مفتون) أى ممتحن .
وجاء فى القرآن الكريم :
﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ [الأنعام : ٥٣] .
﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى﴾ [طه : ٨٥] .
﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ [العنكبوت : ٣] .
﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب ...﴾ [ص : ٣٤]
﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونًا﴾ [طه : ٤٠] .
﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب﴾ [ص : ٢٤] .
﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى﴾ [الحديد : ١٤] .
﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠] .
وجاء تصريف الكلمة : «تفتنى» و «لنفتنهم» و «يفتنكم» و «يفتنتكم» و «يفتنهم» و «يفتنوك» و «ليفتنونك» و «فتنتم» و «فتنوا» و «تفتنون» و «يفتنون» و «فتونا» و «بفاتنين» و «المفتون» و «الفتنة» و «فتنتك» و «فتنتكم» و «فتنته» ـ وذلك فى أكثر من آية من سور القرآن الكريم .
وفتنوا المؤمنين والمؤمنات أى أحرقوهم . ويسمى الصائغ الفتان ، وكذا الشيطان .
وجاء فى الحديث : «المؤمن أخو المؤمن يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتان» يروى بفتح الفاء على أنه واحد وبضمها على أنه جمع .
=

برزة[٥٤] عن النبى ﷺ قال : « **إنما أخشى عليكم الشهوات التى فى بطونكم وفروجكم ومضلات[٥٥] الفتن** » . وفى رواية : « **ومضلات الهوى** »[٥٦] فلما دخل

= قال الخليل بن أحمد الفراهيدى : (الفتن) الإحراق ، قال الله تعالى : ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ ، و(أفتتن) الرجل ، و(فتن) فهو (مفتون) إذا أصابته (فتنة) فذهب ماله أو عقله .

وكذا إذا اختبر . قال الله تعالى : ﴿وفتناك فتوناً﴾ .

و(الفتون) أيضاً (الافتتان) يتعدى ويلزم .

و(فتنته) المرأة دلهته ، و(أفتنته) أيضاً .

وأنكر الأصمعى أفتنته بالألف .

و(الفاتن) المضل عن الحق .

قال الفرّاء : أهل الحجاز يقولون : «ما أنتم عليه بفاتنين» ، وأهل نجد يقولون : (بمفتنين) من أفتنت .

وأما قوله تعالى : ﴿بأيكم المفتون﴾ فالباء زائدة كما فى قوله تعالى : ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ و(المفتون) الفتنة وهو مصدر كالمعقول والمحلوف . ويكون أيكم مبتدأ والمفتون خبره . وقال المازنى : المفتون رفع بالابتداء وماقبله خبره كقولهم : بمن مرورك وعلى أيهم نزولك . لأن الأول فى معنى الظرف . و(فتنته تفينا) فهو (مفتن) أى مفتون جداً .

(٥٤) أبو برزة الأسلمى أو نضلة بن عبيد الأسلمى أبو برزة ، برزى . روى عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث .

(٥٥) من (ضَلَّ) الشئ ضاع وهلك يَضِل بالكسر (ضلالاً) .

و(الضالة) ما ضل من البهيمة للذكر والأنثى .

وأرض (مضلة) بفتح الضاد وكسرها وفتح الميم فيها أى يضل فيها الطريق .

وفلان يلومني (ضلة) إذا لم يوفق للرشاد فى عدلهِ .

ورجل (ضِلِيّل) ، و(مُضَلَّل) أى ضال جداً . و(الضلال) ضد الرشاد . وقد (ضَلَّ) يضل بالكسر (ضلالاً) و(ضلالة) . قال الله تعالى : ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى﴾ فهذه لغة نجد وهى الفصيحة .

وأهل العالية يقولون : (ضَلِلْتُ) أضل بالكسر فيهما . و(أضله) أضاعه وأهلكه .

قال ابن السكيت : (أضللت) بعيرى إذا ذهب منك . و(ضللتُ) المسجد والدار إذا لم تعرف موضعهما وكذا كل شئ مقيم لايهتدى له .

وفى الحديث : «لعلى أضل الله» يريد أضل عنه أى أخفى عليه ـ من قوله تعالى : ﴿أئذا ضللنا فى الأرض﴾ أى خفينا .

قال الرازى : أصل الحديث أن بعض العصاة الخائفين قال لأهله : إذا مِتُّ فأحرقونى ثم ذرونى فى الريح لعلى أضلُّ الله تعالى .

قال : و(أضَلَّه) الله (فضل) .

وتقول : إنك تهدى (الضال) ولاتهدى (المتضال) .

و(تضليل) الرجل أن تنسبه إلى الضلال . وقوله تعالى : ﴿إن المجرمين فى ضلالٍ وسُعُر﴾ أى فى هلاك .

(٥٦) الحديث رواه أحمد فى مسنده الرواية الأولى والثانية (٤/ ٤٢٠ ، ٤٢٣) وفيه : على بن الحكم البنانى ، أبو الحكم البصرى ، ثقة . ضعفه الأزدى بلا حجة ، من الخامسة ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة . كما يقول . صاحب تقريب التهذيب .

أكثر الناس فى هاتين الفتنتين أو إحداهما أصبحوا متقاطعين(٥٧) متباغضين(٥٨) بعد أن كانوا إخواناً متحابين(٥٩) متواصلين(٦٠) فإن

---

(٥٧) من قطع الشىء يقطعه (قطعاً) . و(قطع) النهر عبره من باب خضع . وقطع رحمه (قطيعة) فهو رجل (قطع) بوزن عمر . و(قطعه) بوزن هُمزة .

وقوله تعالى : ﴿ثم ليقطع﴾ قالوا : ليختنق لأن المختنق يمد السبب إلى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى تختنق . تقول : منه (قطع) الرجل . ولبن (قاطع) أى لبن حامض . و(الأقطع) المقطوع اليد والجمع (قطعان) مثل أسود وسودان . و(القِطع) ظلمة آخر الليل . ومنه قوله تعالى : ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ . و(القطعة) من الشىء الطائفة منه . و(المِقطع) بالكسر مايقطع به الشىء . و(القطيع) الطائفة من الغنم أو البقر والجمع (أقاطيع) و(أقطاع) و(قطعان) . و(القطيعة) الهجران . و(القطاعة) بالضم ماسقط من القطع . و(منقطع) كل شىء بفتح الطاء حيث ينتهى إليه طرفه نحو منقطع الوادى والرمل والطريق .

و(انقطع) الحبل وغيره . و(قطع) الشىء (فتقطع) شدد للكثرة . وتقطعوا أمرهم بينهم أى تقسموه .

و(تقطيع) الشعر وزنه بأجزاء العروض .

و(أقطعه قطيعة) أى طائفة من أرض الخراج .

و(قاطعه) على كذا . و(التقاطع) ضد التواصل .

و(اقتطع) من الشىء قطعه .

(٥٨) البغض فى اللغة ضد الحب . وقد (بَغض) الرجل من باب ظرف أى صار (بغيضاً فأبغضوه) أى مقتوه فهو (مُبغض) . و(البغضاء) شدة البغض وكذا (البغضة) بالكسر .

وقولهم : (ماأبغضه) لى شاذ و(التباغض) ضد التحاب .

(٥٩) من حبب . و(حبة) القلب سويداؤه وقيل ثمرته .

و(الحِبة) بالكسر بزور الصحراء مما ليس بقوت .

وفى الحديث : « فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل» .

و(الحُبة) بالضم يقال حبة وكرامة .

و(الحب) بالضم الخابية ، فارسى معرب .

والحب أيضاً المحبة وكذا (الحب) بالكسر . والحِب أيضاً الحبيب ويقال : (أحبه) فهو (محب) و(حبه) يحبه بالكسر فهو (محبوب) و(تحبب) إليه تودد وامرأة (مُحبة) لزوجها و(محب) أيضاً .

و(الاستحباب) كالاستحسان .

قال الرازى : (استحبه) عليه أى آثره عليه واختاره .

ومنه قوله تعالى : ﴿فاستحبوا العمى على الهُدى﴾ واستحبه أحبه ومنه (استحبه) أحبه ومنه (المستحب) و(تحابوا) أحب كل واحد منهم صاحبه .

و(الحُباب) بالضم الحب . والحُباب الحية . وحباب الماء بالفتح معظمه وقيل نُفاخاته التى تعلوه وهى اليعاليل . و(الحبب) بالفتح تنضد الأسنان .

(٦٠) من وصل- (وصلت) الشىء من باب وعد (صِلة) أيضاً . و(وصل) إليه يصل (وصولاً) أى بلغ .

و(وصل) بمعنى (اتصل) أى دعا دعوى الجاهلية وهو أن يقول : يالفلان . قال الله تعالى : ﴿إلا الذين=

فتنة الشهوات[٦١] عمت[٦٢] غالب الخلق ففتنوا بالدنيا وزهرتها[٦٣] وصارت غاية قصدهم[٦٤] لها يطلبون[٦٥] وبها يرضون[٦٦] ولها يغضبون[٦٧] ولها

=يصلون إلى قوم﴾ أى يتصلون .

و(الوصل) ضد الهجران . والوصل أيضاً وصل الثوب والخف .

وبينهما (وصلة) أى اتصال وذريعة .

وكل شئ اتصل بشئ فما بينهما وصله والجمع (وُصَل) . و(الأوصال) المفاصل . و(الوصيلة) التى كانت فى الجاهلية هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين فإن ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم وإن ولدت جدياً وعناقاً قالوا : وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها ولاتشرب لبنها النساء وكان للرجال وجرت مجرى السائبة .

وفى الحديث : «لعن الله الواصلة والمستوصلة» فالواصلة التى تصل الشعر والمستوصلة التى يفعل بها ذلك .

و(توصل) إليه أى تلطف فى الوصول إليه . و(التواصل) ضد التصارم و(وصله توصيلاً) إذا أكثر من الوصل . و(واصله مواصلةً) و(وصالاً) ومنه (المواصلة) فى الصوم وغيره . و(الموصل) اسم بلد .

(٦١) مفردها (شهوة) من الفعل (شها) و(الشهوة) معروفة وطعام (شهى) أى مشتهى .

قال الرازى : هو فعيل بمعنى مفعول من (شهيتُ) الشئ إذا (اشتهيته) . ورجل (شهوان) للشئ و(شهيت) الشئ بالكسر (أشهاه شهوة) واشتهيته . و(تشهى) عليه كذا . وهذا شئ (يشهى) الطعام أى يحمل على اشتهائه .

(٦٢) سادت وانتشرت بين أكثر البشر .

(٦٣) ببهرجتها وزينتها الزائلة ، فصارت هى كل هدفهم ومناهم ، لها يطلبون ، وبها يقنعون .

(٦٤) من قصد (القصد) إتيان الشئ وبابه ضرب تقول : (قصده) وقصد له ، وقصد إليه كله بمعنى واحد . و(قصد) قصده أى نحا نحوه . و(القصيد) جمع (قصيدة) من الشعر مثل سفين وسفينة . و(القاصد) القريب يقال : بيننا وبين الماء ليلة (قاصدةٌ) أى هينة السير لاتعب فيها ولا بُطء . و(القصدُ) بين الإسراف والتقتير يقال : فلان (مقتصد) فى النفقة) . و(اقصِدْ) فى مشيك . و(اقصد) بذرعك أى اربع على نفسك . و(القصد) العدل .

(٦٥) من طلب ـ (طلبه) يطلبه بالضم (طلباً) بفتحتين . و(أطلبه) بتشديد الطاء و(الَّطَلب) الطلب مرة بعد أخرى . و(الطلبة) بكسر اللام الشئ المطلوب . و(أطلبه) بوزن أبطله ، أسعفه بما طلب ، وأطلبه أيضاً أحوجه إلى الطلب .

(٦٦) من رضا ـ (الرضوان) بكسر الراء وضمها الرضا و(المرضاة) مثله . و(رضيت) الشئ و(ارتضيته) فهو (مرض) و(مرضوٌّ) أيضاً على الأصل .

و(رضى) عنه بالكسر (رضا) مقصور ، مصدر محضٌ والاسم (الرِضاء) ممدود عن الأخفش .

وعيشة (راضية) أى (مرضية) لأنه يقال : (رضيت) معيشته على مالم يسم فاعله ولايقال رضيت .

ويقال : (رضى) به صاحباً وربما قالوا : رضى عليه فى معنى رضى به وعنه .

و(أرضيته) عنى و(رضيته) أيضاً (ترضية فرضى) و(ترضاه أرضاه) بعد جهدٍ و(استرضيته فأرضانى) .

و(رضوى) اسم جبل بالمدينة المنورة .

(٦٧) من غضب ـ غضب عليه من باب طرب ، و(مغضبة) على وزن مفعلة أيضاً كمتربة . ورجل غضبان=

يوالون[٦٨] وعليها يعادون فقطعوا لذلك أرحامهم[٦٩] وسفكوا[٧٠] دماءهم وارتكبوا معاصى[٧١] الله بسبب ذلك . وأما فتنة الشبهات

= وامرأة (غضبى) .
وفى لغة بنى أسد (غضبانة) وملآنة وأشباههما . وقوم (غضبى) و (غضابى) كسكرى وسكارى . ورجل (غُضبةٌ) بضم الغين والضاد وتشديد الباء يغضب سريعاً .
و (غضب) لفلان إذا كان حياً وغضب به إذا كان ميتاً . و (غاضبه) راغمه . وقوله تعالى : ﴿مغاضباً﴾ أى مُراغماً لقومه .
وامرأة (غضوب) على وزن فعول أى عبوس .
و (الغضب) الأحمر الشديد الحمرة ، يقال : أحمر غضبٌ .
(٦٨) من ولى- (الولى) بسكون اللام القرب والدنو . يقال : تباعد بعد ولي .
وكل مما (يليك) أى مما يقاربك ، يقال منه : (وليه) يليه بالكسر فيهما وهو شاذ .
و (أولاه) الشيء (فوليه) . وكذا (ولى الوالى) البلد و (ولى) الرجل البيع (ولاية) فيهما . و (أولاه) معروفاً .
ويقال فى التعجب : ما أولاء للمعروف وهو شاذ .
(ولاه) الأمير عمل كذا . و (ولاه) بيع الشيء . و (تولى) العمل تقلد . وتولى عنه أعرض . و (ولى) هارباً أدبر . وقوله تعالى : ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ أى مستقبلها بوجهه . و (الولى) ضد العدو يقال منه : (تولاه) . وكل من ولى أمر واحدٍ فهو (وليه) .
و (المولى) المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والحليف .
و (الولاء) ولاء المعتق . و (الموالاة) ضد المعاداة .
ويقال (والى) بينهما (ولاء) بالكسر أى تابع . وافعل هذه الأشياء على الولاء أى متتابعة .
و (توالى) عليهم شهران تتابع . و (استولى) على الأمد أى بلغ الغاية .
قال ابن السكيت : (الولاية) بالكسر السلطان و (الولاية) بالفتح والكسر النصرة .
قال سيبويه : (الولاية) بالفتح المصدر وبالكسر الاسم .
وقولهم : (أولى) لك تهديد ووعيد .
وقال الأصمعى : معناه قاربه ما يهلكه أى نزل به .
وقال ثعلب : ولم يقل أحدٌ فى أولى أحسن مما قاله الأصمعى .
وفلان أولى بكذا أى أحرى به وأجدر . ويقال هو الأولى وفى المرأة هى (الوليا) .
(٦٩) من أجل الدنيا يعادى بعضهم البعض ، لدرجة الشقاق والعداء بين الأهل والأقارب .
(٧٠) سفكوا من سفك- (سفك) الدم والدمع هراقه وبابه ضرب . و (السفاك) السفاح وهو القادر على الكلام .
(٧١) المعاصى جمع معصية . و (العصا) مؤنثة يقال : عصا و (عصوان) والجمع (عصى) بكسر العين وضمها . و (أعصٍ) مثل زمن وأزمن .
وقولهم : ألقى (عصاه) أى أقام وترك الأسفار وهو مثل . وهذه عصاى .
قال الفرّاء : أول لحن سُمِعَ بالعراق هذه عصاتى . =

والأهـــــــواء(٧٢) المضلـــــــــة فبسببها تفـــــــــرق(٧٣)

= ويقال فى الخوارج : قد شقوا عصا المسلمين أى اجتماعهم وائتلافهم .
وانشقت العصا أى وقع الخلاف .
وقولهم : لاترفع عصاك عن أهلك يراد به الأدب .
و (عَصاه) أى ضربه بالعصا . وبابه عدا .
و (العصيان) ضد الطاعة .
وقد عصاه من باب رمى و (معصية) أيضاً و (عصياناً) فهو (عاصٍ) و (عصى) و (عاصاه) مثل عصاه و (استعصى) عليه .

(٧٢) الأهواء من هوى- و(الهواء) ممدود مابين السماء والأرض والجمع (الأهوية) . وكل خالٍ (هواء) .
وقوله تعالى : ﴿وأفئدتهم هواء﴾ يقال : إنه لاعقول لهم .
و (الهوى) مقصور هوى النفس والجمع (الأهواء) .
و (هوى) أحب وبابه صدى .
يقول الأصمعى : (هوى) يهوى كرمى يرمى (هويا) بالفتح سقط إلى أسفل . و(انهوى) مثله . و (أهوى) بيده ليأخذه .
و (استهواه) الشيطان استهامه .
و (هاوية) اسم من أسماء النار وهى معرفة بغير ألف ولام .
قال تعالى : ﴿فَأُمُّه هاويةٌ﴾ أى مستقرها النار .
وعلق ابن برى قائلاً : لو كان اسماً علماً للنار لم يتصرف فى الآية [راجع لسان العرب مادة : هوا] .

(٧٣) تفرق من فرق- (فرق) بين الشيئين من باب نصر و(فُرقاناً) أيضاً . و(فرق) الشئ (تفريقاً) و (تفرقة فانفرق) و (افترق) و (نفرق) . وأخذ حقه منه (بالتفاريق) .
وقوله تعالى : ﴿وقرآنًا فرقناه﴾ : مَنْ خفف قال : بيناه من (فرق) يفرق . ومَنْ شدد قال : أنزلناه (مفرقاً) فى أيام .
و (الفرق) مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلاً وقد يحرك والجمع (فُرقان) .
وهذا الجمع يكون لهما جميعاً كبطن وبطنان وحَمَلٍ وحُمْلان .
و (الفُرقان) القرآن .
وكل مافرق به بين الحق والباطل فهو فرقان . فلهذا قال الله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهٰرون الفرقان﴾ . و (الفرقة) الاسم من قولك : (فارقه مفارقة) و (فِراقاً) .
و (الفاروق) اسم سمى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
و (المفرق) بكسر الراء وفتحها وسط الرأس وهو الموضع الذى يُفرق فيه الشعر . وكذا (مفرِق) الطريق و (مفرقه) ولاجمع له وهو الموضع الذى ينشعب منه طريق آخر .
ويقول الفيروز آبادى فى القاموس : وجمعه مفارق .
وقولهم : للمفرق (مفارق) كأنهم جعلوا كل موضع منه مفرقاً فجمعوه على ذلك . و (الفرق) الخوف وقد (فَرِق) منه من باب طرب . ولايقال فِرقة . وامرأة فاروق ورجل فروقة أيضاً ولاجمع له . =

أهل(٧٤) القبلة وصاروا شيعاً(٧٥) وكفر(٧٦) ....

= وديك (أفرقُ) بين (الفرق) وهو الذى عُرفه (مفروق) .
ورجل (أفرقٌ) وهو الذى ناصيته أو لحيته كأنها مفروقة .
ويقال : هو أبين من (فرق) الصبح بفتحتين لغة فى فلق الصبح .
و(الفرق) الفِلق من الشئ إذا انفلق .
ومنه قوله تعالى : ﴿فانفلق فكان كلُّ فرق كالطود العظيم﴾ .
و(الفِرقة) الطائفة من الناس . و(الفريق) أكثر منهم .
وفى الحديث : «أفاريق العرب» وهو جمع (أفراق) وأفراق جمع فرقة . وأفرق المريض من مرضه والمحموم من حماه أى أقبل . و(إفريقية) اسم قارة معروفة .

(٧٤) أهل الدين الواحد ، أى أهل الإسلام .

(٧٥) من شيع– (شاع) الخبر يشيع (شيوعه) ذاع . وسهم (مشاع) و(شائع) أى غير مقسوم . و(أشاع) الخبر أذاعه .
و(شيعه) عند رحيله (تشييعاً) . و(شيعة الرجل) أى أتباعه وأنصاره . و(تشيع) الرجل أى ادعى دعوى (الشيعة) . وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم (شيع) . وقوله تعالى : ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾ أى بأمثالهم من الشيع الماضية .

(٧٦) كفر– (الكفر) ضد الإيمان وقد (كفر) بالله من باب نصر . وجمع (الكافر كفار) و(كفرةٌ) و(كفار) بالكسر محققاً كجائع وجياع ونائم ونيام .
وجمع الكافرة (كوافر) . و(الكفر) أيضاً جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد (كفره) من باب دخل (كُفرانا) أيضاً بالضم .
وقوله تعالى : ﴿إنا بكل كافرون﴾ أى جاحدون .
وقوله تعالى : ﴿وجعل لهم أجلاً لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورًا﴾ [الإسراء : ٩٩] .
قال الأخفش : هو جمع كفر مثل برد وبرود . و(الكفر) بالفتح التغطية وبابه ضرب .
والكفر أيضاً القرية .
وفى الحديث : «يخرجكم الروم منها كفراً كفراً» أى من قرى الشام .
ومنه قولهم : كفر الشيخ ، أو كفر الزيات ، أو كفر مصيلحى ونحوه ، فهى قرى نسبت إلى رجال أو إلى أصحاب مهن معينة .
ومنه قول معاوية : أهل (الكفور) هم أهل القبور . يقول : إنهم بمنزلة الموتى لايشاهدون الأمصار والجمع ونحوهما .
و(الكافر) الليل المظلم لأنه يستر بظلمته كل شئ . وكل شئ غطى شيئاً فقد (كفره) .
قال ابن السكيت : ومنه سمى (الكافِر) لأنه يستر نعم الله عليه . والكافر الزارع لأنه يغطى البذر بالتراب . و(الكُفَّار) الزراع . و(أكفره) دعاه كافراً يقال : لاتكفر أحداً من أهل قبلتك أى لاتنسبه إلى الكفر .
و(تكفير) اليمين فعل مايجب بالحنث فيها والاسم (الكفارة) . و(الكافور) الطلع وقِيل وعاء الطلع وكذا (الكفرى) بضم الكاف وتشديد الراء . و(الكافور) من الطيب .

بعضهم بعضاً وأصبحوا أعداء وفرقاً وأحزاب[٧٧] بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد[٧٨] فلم ينج[٧٩] من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية وهم المذكورون فى قوله ﷺ : **«لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك»**[٨٠] .

---

(٧٧) فعلها (حزب) ، نقول : حزب الرجل أصحابه . والحزب أيضاً الورد ومنه (أحزاب) القرآن المجيد ، و(الحزب) الطائفة . و(تحزبوا) أى تجمعوا .

و(الأحزاب) الطوائف التى تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وغزوة الأحزاب أو (الخندق) معروفة فى تاريخ الإسلام .

وفى القرآن الكريم سورة (الأحزاب) وهى سورة مدنية وآياتها (٧٣) آية نزلت بعد سورة آل عمران .

(٧٨) عندما صاروا شيعاً ، وكفر بعضهم بعضاً ، وأصبحوا أعداءً وفرقاً متناحرة ، وأحزاباً متباغضة ، بعد أن كانوا الكل فى واحد ، وكانت قلوبهم على قلب رجل واحد ولم ينج إلا الفرقة الواحدة الناجية تلك الفرقة التى لاتزال ظاهرة على الحق ، لايضرها من خذلها ولامن خالفها حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

(٧٩) من نجا ـ (نجا) من كذا ينجو (نجاءً) بالمد ، و(نجاة) بالقصر . والصدق (منجاة) و(أنجى) غيره و(نجاه) وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ المعنى ننجيك لا نفعل بل نهلكك فأضمر قوله لا نفعل ويعلق الرازى على ذلك قائلاً : وهذا قول غريب ولم أعرف أحداً من كبار أئمة التفسير أو اللغة قاله غير الجوهرى فى الصحاح .

وقال بعضهم : ننجيك أى نرفعك على (نجوة) من الأرض فنظهرك لأنه قال : ببدنك ولم يقل : بروحك .

و(استنجى) أسرع ، وفى الحديث : «إذا سافرتم فى الجدوبة فاستنجوا» .

و(النجو) مايخرج من البطن . و(استنجى) مسح موضع النجو أو غسله . و(النجو) المكان المرتفع .

والنجو السر بين اثنين يقال : (نجوته نجواً) أى ساررته وكذا (ناجيته) . و(انتجى) القوم و(تناجوا) أى تساروا و(انتجاه) خصه (بمناجاته) والاسم (النجوى) .

وقوله تعالى : ﴿وإذ هم نجوى﴾ جعلهم هم النجوى والنجوى فعلهم كما تقول : قوم رضا وإنما الرضا فعلهم . و(النجى) على فعيل الذى تساره والجمع (الأنجية) .

قال الأخفش : وقد يكون النجى جماعةً كالصديق . قال الله تعالى : ﴿خلصوا نجيا﴾ .

وقال الفرّاء : وقد يكون النجى والنجوى اسماً ومصدراً .

(٨٠) الحديث رواه البخارى (٧٣١١ / فتح) من حديث المغيرة بن شعبة .

ورواه مسلم فى صحيحه (١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٠٣٧) من حديث المغيرة بن شعبة ، ثوبان ، جابر ، معاوية .

- ورواه الحاكم فى معرفة علوم الحديث (ص ٢) من حديث قرة بن إياس .
- ورواه أيضاً الحاكم فى معرفة علوم الحديث (ص ٢) من حديث معاوية .
- ورواه الخطيب البغدادى فى شرف أصحاب الحديث وفى الفقيه والمتفقه من حديث معاوية .
- ورواه ابن ماجه فى مقدمة السنن (١/٤ـ٦) .

إنهم يصلحون ماأفسد الناس

وهم فى آخر الزمان الغرباء المذكورون فى هذه الأحاديث الذين يصلحون[٨١] إذا فسد[٨٢] الناس وهم الذين يصلحون ماأفسد الناس من السُنة[٨٣] وهم الذين يفرون

= ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث قرة بن إياس (٢١٨/١) .

• ورواه أحمد فى المسند من حديث قرة بن إياس (٤٣٦/٣) ومعاوية (٩٧/٤ ، ٩٩) ،ومن حديث عمران ابن حصين (٤٣٧/٤) .

• ورواه أبو نعيم فى الحلية (٢٨٩/٢) من حديث ثوبان ومن حديث أبى هريرة (٣٠٧/٩) .

• ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢٩٢/١) .

ورواه الترمذى فى الفتن ـ باب ماجاء فى أهل الشام .

(٨١) من صلح ـ (الصلاح) ضد الفساد وبابه دخل . ونقل الفرّاء صلح أيضاً بالضم .

وهذا يصلح لك أى هو من باتبك. و(الصِلاح) بالكسر مصدر (المصالحة) والاسم (الصلح) يذكر ويؤنث .

وقد (اصطلحا) و(تصالحا) و(اصالحاً) بتشديد الصاد . و(الإصلاح) ضد الإفساد . و(المصلحة) واحدة (المصالح) و(الاستصلاح) ضد الاستفساد .

(٨٢) من (فسد) الشىء يفسد بالضم (فساداً) فهو فاسد على وزن فاعل .

وفسد بالضم أيضاً (فساداً) فهو فسيد على وزن فعيل صيغة مبالغة .

و(أفسده ففسد) ولاتقل أنفسد ، و(المفسدة) ضد المصلحة .

(٨٣) السنة لغة الطريقة ومنه قوله تعالى : ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ . جاء فى الحديث : «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع» كما جاء فيه : «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» .

وقد اختلف علماء الإسلام فى تعريف السنة اصطلاحاً باختلاف الغرض الذى يهتم به كل فريق منهم .

فهى فى اصطلاح علماء الحديث : ماأثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها .

والسنة فى الإصطلاح الشرعى الأصولى : هى ماصدر عن رسول الله ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير .

فالسنن القولية : هى أحاديثه التى قالها فى مختلف الأغراض والمناسبات .

والسنن الفعلية هى أفعاله ﷺ .

والسنن التقريرية هى ماأقره الرسول ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره ، أو بموافقته وإظهار استحسانه فيعتبر بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول نفسه .

والسنة فى إصطلاح الفقهاء : ماثبت عن النبى ﷺ من غير افتراض ولاوجوب ، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة وقد تطلق عندهم على مايقابل البدعة .

بدينهم من الفتن وهم النزاع[٨٤] من القبائل لأنهم قلّوا[٨٥] فلا يوجد فى كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان وقد لايوجد فى بعض القبائل منهم أحد كما كان الداخلون فى الإسلام فى أول الأمر كذلك وبهذا فسر الأئمة هذا الحديث . قال الأوزاعى[٨٦] فى

---

(٨٤) النزاع من نزع الشىء من مكانه ، قلعه من باب ضرب . وقولهم : فلان فى (النزع) أى فى قلع الحياة . و(نزع) إلى أهله ينزع بالكسر (نزاعاً) .

وجاء فى القاموس : نزاعة ونزوعاً . أى اشتاق . و(نزع) عن كذا انتهى عنه وبابه جلس . وكذا باب نزع إلى أبيه فى الشبه أى ذهب .

ورجل (أنزعُ) بين (النزع) بفتحتين وهو الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته وموضعهُ (النزعة) بفتح الزاى وهما النزعتان .

و(نازعه منازعةً) جاذبه فى الخصومة .

وبينهم (نزاعةٌ) بالفتح أى خصومة فى حقٍ .

و(التنازُع) التخاصم .

و(نازعت) النفس إلى كذا (نزاعاً) اشتاقت .

و(انتزع) الشىء فانتزع أى اقتلعه فاقتلع .

(٨٥) من قلل– شىء (قليل) وجمعه (قلل) مثل سرير وسرر وقوم (قليلون) و(قليل) أيضاً . قال الله تعالى : ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ . وقل الشىء يقل بالكسر (قِلة) و(أقله) غيره و(قلله) بمعنى .

و(قلله) فى عينه أى أراه إياه قليلاً .

و(أقل) افتقر وأقل الجرة أطاق حملها .

و(القل) و(القِلة) كالذلِ والذِلة .

يقال : الحمد لله على القل والكثر . وماله قل ولا كثر .

وفى الحديث : «الربا وإن كثر فهو إلى قُل» .

و(القُلة) أعلى الجبل . و(قلة) كل شىء أعلاه . ورأس الإنسان قلة والجمع (قلل) .

و(القلة) إناء للعرب كالجرة الكبيرة وقد يجمع على (قلل) . و(قلال) هجر شبيهة بالحباب .

و(استقله) عده قليلاً . و(استقل) القوم مضوا وارتحلوا .

و(قلقله قلقلة) و(قلقالاً فتقلقل) أى حركه فتحرك واضطرب : فإذا كسرته فهو مصدر وإذا فتحته فهو اسم كالزِلزال والزَّلْزال .

(٨٦) الأوزاعى فقيه الشام– اسمه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى .

قال ابن سعد : الأوزاع بطن من همدان وهو من أنفسهم . وترجم له فى سكان العواصم والثغور . سكن الأوزاعى بيروت اللبنانية فى أخر عمره مرابطاً بها . وبها توفى ، وقد ذكر البخارى أنه نسب إلى الأوزاع لأنه نزل فيهم ولم يكن منهم .

وقال البخارى أيضاً فى التاريخ الصغير : الأوزاعى حافظاً .

راجع التاريخ الكبير (٥/٣٢٦) ، والطبقات الكبرى (٧/١٨٥) ، والتذكرة (١/١٦٨) والمشتبه (رقم ٣٨٢) .

قوله ﷺ : «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**» : أما أنه مايذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السُنة[87] حتى مايبقى فى البلد منهم إلا رجل واحد . ولهذا المعنى يوجد فى كلام السلف كثيراً مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقِلّة فكان الحسن رحمه الله تعالى[88] يقول لأصحابه :

(٨٧) الذين يتقون الله حق تقاته ـ يلتزمون تعاليم القرآن الكريم إلتزاماً تاماً وكذلك ماجاء فى السنة النبوية المطهرة ، باعدين كل البعد عن البدع والمنكرات ، وكل مايخالف روح الإسلام المجيد .

(٨٨) الإمام الحسن بن على هو سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، كانت حياته ومماته صورة من أروع صور النبل والتضحية والعفة والنزاهة وسكينة النفس .. ونقاء الضمير .. وسلامة الوجدان .. حسبه منزلة رفيعة فى الدنيا والآخرة أنه حفيد رسول الله ﷺ .. وابن الإمام على .. وفاطمة الزهراء .. وشقيق الحسين سيد الشهداء .. وحسبه مكانة عالية بين الصديقين والأبرار أنه رفض أن يصل إلى منصب الخلافة عن طريق مضرج بدماء الشهداء .. وآثر أن يرفع راية السلام .. بدلاً من أن يطلق صيحة الحرب .. فقد كان قلبه مضيئاً بالرحمة .. ووجدانه مشرقاً بالحنان .. ونفسه مزدحمة بالفضائل .

كانت قُبلات النبى ﷺ التى تتضوع كعبير السماء على شفتيه .. وكان حب النبى له ولأخيه الإمام الحسين يجعل حياتهما كحياة الملائكة .. إذ كان فى نقاء النور .. وصفاء الجدول الرقراق .. ففى طفولتهما الباهرة الطاهرة أخذا من بيت النبوة كلمات الوحى .. وتعاليم السماء .. ومنهج الإسلام .. والتربية الإلهية .. ومن بيت الأبوة والأمومة أخذا المثل العليا .. والقدوة الحسنة .. وفى هذا المناخ الناصع الشفاف نشأ الإمامان الحسن والحسين كوكبين دريين .. لايكاد يمر يوم دون أن يعرب النبى ﷺ لأصحابه عن حبه لحفيديه .. وكان الإمام الحسن أكثر شبهاً برسول الله ﷺ فى ملامحه .. حدث ذات يوم أن كان أبو بكر وعلى خارجين من المسجد بعد الصلاة .. وإذا بهما يريان الحسن يلعب .. فحمله أبو بكر وداعبه .. ثم قال له : بأبى شبيه بالنبى .. وليس شبيهاً بعلى .. والإمام على يضحك .

وعن حب النبى ﷺ للإمامين الحسن والحسين .. يقول أبو هريرة رضى الله عنه : خرج علينا رسول الله ﷺ ، ومعه حفيداه الحسن والحسين .. هذا على عاتقه .. وهذا على عاتقه .. وهو يلثم هذا مرة .. وهذا مرة .. حتى انتهى إلينا .. فقال : «من أحبهما فقد أحبنى .. ومن أبغضهما فقد أبغضنى» .. والأحاديث الواردة فى حب الإمامين الحسن والحسين تفيض بها السيرة النبوية الشريفة .

وبالنسبة للإمام الحسن .. فقد أنبأ النبى ﷺ بأنه سيصلح بين فئتين من المسلمين .. ثم تحققت هذه النبؤة بعد ذلك بسنوات .. أى بعد انتقال المعصوم ﷺ إلى الرفيق الأعلى .. وكان ذلك بالتحديد بعد استشهاد الإمام على كرم الله وجهه .. إذ أقبل أهل العراق على مبايعة الإمام الحسن .. مؤمنين بأنه أحق بالخلافة .. وفى الوقت نفسه أقبل أهل الشام على مبايعة معاوية .. وكان لامناص من قيام حرب جديدة بين العراق والشام .. وهنا برزت فطنة الإمام الحسن .. فقد فكر وقدر .. واستعرض فى مخيلته ماحدث فى معركة صفين .. وتخايلت أمام عينيه صور القتلى والدماء والأشلاء .. ومشاهد اليتم والترمل .. وماتجره الحرب من مآسٍ وويلات .. وخشى الإمام الحسن من تجدد المعارك وإراقة دماء المسلمين ..

وبينما هو يفكر فى مخرج من هذا المأزق .. إذا برسالة من معاوية تصل إليه . وفيها يعرض عليه داهية بنى أمية الصلح .. بشرط أن ينزل له الإمام الحسن عن الخلافة .. وتؤول إليه بعد موت معاوية .. إذا كان حيا .. =

يا أهـــل السُّـــنَّة !!

يأهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس[٨٩] . وقال يونس بن عبيد[٩٠] : ليس شئ أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها . وروى عنه أنه قال : أصبح من إذا عُرِفَ بالسنة فعرفها غريباً وأغرب منه من يعرفها[٩١] . وعن سفيان

=ولما قرأ الحسن الرسالة .. بعث إلى أخيه الحسين فى المدينة يقنعه بالصلح .. كما جمع رءوس أهل العراق فى قصر المدائن بالعراق .. وقال لهم : إنكم قد بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت .. وتحاربوا من حاربت .. إنى قد بايعت معاوية فاسمعوا له .

تقبل أهل العراق هذا الوضع على مضض .. كما تقبله الحسين على مضض أيضاً .. لأن الجميع كانوا يريدون أن تظل الخلافة فى بيت النبوة .. وألا تؤول إلى بنى أمية .. ولكن وجهة نظر الإمام الحسن كانت تتركز فى منع نزيف الدم بين المسلمين .. وكفى ماحدث فى صفين .

بيد أن معاوية لم يكن يريد الوفاء بوعده .. لأنه ما كاد يستتب له الأمر حتى راح يمهد لأخذ البيعة لابنه يزيد بن معاوية .. ولأنه داهية بعيد الغور .. فلم يفصح فى البداية عن رغبته .. وإنما أخذ يكوّن رأياً عاماً بالتدريج .. وكان كل من يسمع من أصحاب رسول الله ﷺ بهذا الاتجاه .. يغلى الغضب فى عروقه .. لأن الخلافة ستتحول إلى ملك عضوض ، كما أخبر بذلك رسولنا الكريم ﷺ .

وعلى الرغم من أن الإمام الحسن حافظ على دماء المسلمين .. ورفض تجديد المعارك .. ونزل عن البيعة لمعاوية .. فإن المؤامرات كانت تحاك للقضاء عليه .. والتخلص منه .. فقد سقى السم مراراً .. ولكنه كان يعالج .. إلا أن المتآمرين لم يكفوا عن محاولاتهم .. فقد دس له سم زعاف فى الطعام .. مالبث بعده أن أحس بما يشبه وخز السكاكين فى بطنه .. وفى غمرة آلامه يسأله أخوه الحسين عمن دس له السم .. فيرفض أن يجيب .. ثم صعدت روحه الطاهرة راضية مرضية إلى أعلى عليين .. وفى مشهد اشترك فيه أهل المدينة المنورة جميعاً سنة ٥٠ هـ ـ على أرجح الأقوال ـ ثم دفن جثمانه الطاهر بالبقيع .. وكانت تفوح منه رائحة كرائحة المسك .. كأنما طيبته الملائكة بعبير الجنة .

رحم الله الإمامين الحسن والحسين .. فقد قال عنهما رسول الله ﷺ : «إنهما سيدا شباب أهل الجنة» .

(٨٩) كونوا جماعة واحدة ، كونوا كرفقة السفر متعاونين متحابين لأنكم من أقل الناس ، ففيكم التقوى والإيمان والإلتزام بالقرآن والسنة ، وهذا قليل فى زمن الفتن .

(٩٠) يونس بن عبيد بن دينار العبدى ، أبو عبيد البصرى ، ترجم له صاحب تقريب التهذيب (٣٨٥/٢/ ٤٨٣) وصاحب التاريخ الصغير (٤٩/٢) فأجمعا على أنه : ثقة ثبت فاضل ، ورع من الخامسة ، مات سنة ١٣٩هـ . وقال ابن سعد فى طبقاته : كان ثقة وكثير الحديث .

(٩١) يقصد يونس : المعرفة الصحيحة للسنة المطهرة ، معرفة بتعاليمها ومبادئها ، معرفة ترتبط ارتباطاً حميماً بالتطبيق الفعلى ، والممارسة الفعلية ، معرفة الأعمال والتنفيذ ، لامعرفة الأقوال فقط .

إن علماء السنة الأجلاء بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادى الذى أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال ، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرع الذى يضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ويبين=

الثورى[٩٢] قال : استوصوا بأهل السُنة خيراً فإنهم غرباء . ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبى ﷺ التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات ولهذا كان الفضيل بن عياض[٩٣] يقول : أهل السنة من عرف مايدخل فى بطنه[٩٤] من حلال وذلك لأن أكل الحلال من أعظم خصال السنة التى كان عليها النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم !! .

الاعتقـــادات

ثم صار فى عرف[٩٥] كثير من العلماء المتأخرين[٩٦] من أهل الحديث وغيرهم السنة[٩٧] عبارة عما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

=للناس دستور الحياة فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التى تثبت الأحكام وتقررها .

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذى لاتخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعى ، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك .

(٩٢) نوجز ترجمته من التاريخ الكبير (٤/٩٢) ، والتذكرة (١/١٩٠) ، والميزان (٢/١٦٩) ، والطبقات الكبرى (٦/٢٥٧) ، والتاريخ الصغير (٢/١٥١)ـ فنقول : سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثورى الكوفى ، قال الذهبى فيه : الحجة الثبت ، متفق عليه مع أنه كان يدلس عن الضعفاء ، ولكن له نقد وذوق ، ولاعبرة لقول من قال : يدلس ويكتب عن الكذابين . وقال شعبة ويحيى بن معين وجماعة : سفيان أمير المؤمنين فى الحديث . ولد سنة ٩٧ هـ وطلب العلم وهو حدث فإن أباه كان من علماء الكوفة ، ومات فى البصرة فى الاختفاء من المهدى العباسى ، فإنه كان قوالاً بالحق شديد الأفكار .

(٩٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التيمى اليربوعى الخراسانى أبو على الزاهد المشهور ، أصله من خراسان ، وسكن مكة المكرمة ، ثقة ، عابد ، إمام ، من الثانية ، مات سنة ١٨٧ هـ وقيل قبلها .

قال الذهبى : فضيل بن عياض الزاهد ، شيخ الحرم ، وأحد الأثبات. مجمع على ثقته وجلالته ، ولا عبرة بما رواه أحمد بن أبى خيثمة .

قال : سمعت قطبة بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض ، لأنه روى أحاديث أذرى فيها على عثمان رضى الله عنه وأرضاه . فمن قطبه !! وماقطبه حتى يجرح ، وهو هالك . روى الفضيل رحمه الله ما سمع فكان ماذا ؟ فالفضيل من مشايخ الإسلام . توفى سنة ١٨٧ هـ .

(٩٤) تعريف عظيم من الفضيل بن عياض لأهل السنة فهم عنده الذين يعرفون مايدخل فى بطونهم من حلال ، وذلك لأن أكل الحلال الطيب من أعظم صفات وسمات السنة التى كان عليها نبى الرحمة الهادى البشير ﷺ وأصحابه الميامين رضى الله عنهم جميعاً وأرضاهم .

(٩٥) فى رأى .

(٩٦) من المعاصرين لابن رجب الحنبلى .

(٩٧) يقرر علماء الحديث الأجلاء : أن السنة عبارة عما سلم من الشبهات فى الاعتقادات ، خاصة فيما=

فضائل الصحابة

وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة ، وصنفوا فى هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة ، وأما السنة الكاملة فهى الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات . كما قال الحسن ويونس بن عبيد وسفيان والفضيل وغيرهم ولهذا وصف أهلها بالغربة فى آخر الزمان لقلتهم وغربتهم فيه ولهذا ورد فى بعض الروايات كما سبق فى تفسير الغرباء قوم صالحون ، قليل فى قوم سوء ، كثير من يعضيهم ، أكثر ممن يطيعهم وفى هذا إشارة إلى قلة عددهم ، وقلة المستجيبين لهم ، والقابلين منهم ، وكثرة المخالفين لهم ، والعاصين لهم . ولهذا جاء فى أحاديث متعددة : مدح المتمسك بدينه فى آخر الزمان ، وأنه كالقابض على الجمر ، وأن للعامل منهم أجر خمسين ممن قبلهم لأنهم لا يجدون أعواناً فى الخير[٩٨] .

=يتعلق بمسائل الإيمان بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وكذلك فى مسائل القدر ، وفضائل الصحابة رضوان الله عليهم .

كما صنفوا فى هذا العلم تصانيف كثيرة جليلة ، وسموها كتب السنة .

وقد خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا حفرة من النار .

أما السنة الكاملة فهى الطريقة الخالية تماماً من كل الشهوات والشبهات ، كما قال علماء أفاضل مثل الحسن ابن على ، ويونس بن عبيد ، وسفيان الثورى والفضيل بن عياض [راجع هذه الأقوال فى متن نص ابن رجب] . ولهذا وصف أهلها بالغربة فى آخر الزمان لقلتهم وغربتهم فيه .

ومن أجل هذا أو لهذا وردت بعض الروايات تفسر الغرباء بالقوم الصالحين ، وهم قليل بين الناس ، أو قليل فى قوم سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم .

وفى هذا إشارة إلى قلة عددهم وقلة المستجيبين لهم والقابلين منهم ، وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم .

ولهذا وردت أحاديث نبوية مطهرة متعددة تمدح المتمسك بدينه فى آخر الزمان . وأنه كالقابض على الجمر ، وأن للعامل منهم أجر خمسين ممن قبلهم لأنهم لايجدون أعواناً فى الخير ، والله أعلم .

(٩٨) حديث رواه ابن ماجه فى سننة (٤٠١٤) . ورواه الترمذى فى سننه (٣٠٥٨) . ورواه أبو داود فى سننه (٤٣٧/٢) ط الحلبى . وتمامه :

«... بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر . حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوًى متبعاً ، ودنياً مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، ورأيت أمراً لايدان لك به ، فعليك بخويصة نفسك ، فإن من ورائكم أيام الصبر . الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله» .

والحديث الذى معنا فيه :

عتبة بن أبى حكيم ، عن مكحول ، قال أبو حاتم : «صالح» . ووثقه ابن معين مرة ، وضعفه آخرون.=

وهؤلاء الغرباء قسمان[٩٩] : أحدهما من يصلح نفسه عند فساد الناس ، والثانى من يصلح ما أفسد الناس من السنة . وهو أعلى القسمين وهو أفضلهما[١٠٠] .

الإقبال والإدبار

وقد خرّج الطبرانى وغيره بإسناد فيه نظر من حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ :

=وكان أحمد بن حنبل يلينه .

قال ابن حجر العسقلانى : «صدوق يخطىء كثيراً ، من السادسة» .

راجع : المغنى فى الضعفاء : (٢/٤٢٢/٣٩٩٣) . وراجع أيضاً : تقريب التهذيب (٢/٤/١١) .

(٩٩) يقسم ابن رجب الحنبلى هؤلاء الغرباء إلى قسمين :

• القسم الأول : من يصلح نفسه ، يعمل بكل جهده أن يلتزم بالقيم الإسلامية الجيدة ، فهو يؤمن أن الله لن يغيره أو يغير قومه إلا إذا غير هو نفسه أولاً .

• القسم الثانى : وهو أفضلهما ! من يصلح ما أفسد الناس من السنة ، بمعنى أن يفهم الناس السنة الحقيقية مبنى ومعنى ، ويصلح تلك البدع والخزعبلات التى قال بها الناس فأساءوا للسنة وأفسدوا من قيمها وأصولها .

وهذا القسم أعلى وأفضل من القسم السابق فى رأى ابن رجب .

(١٠٠) فى كل حديث نبوى عبرة وعظة لو عرفها الناس لوصلوا بإذن الله إلى بر الأمان . فكما يعلمنا سيد البشر ﷺ أن لكل شىء فى الدنيا إقبال وإدبار :

١ ـ ومن إقبال الدين الإسلامى :

(أ) بعث الله النبى محمد ﷺ كى يزيل ما فى عقول وقلوب الناس من العمى والضلالة والجهالة .

(ب) أصبحت القبيلة من القبائل بأسرها كلها على نور الإسلام ، كلها متفقهة فى الدين ، حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان ، إن تكلما قمعا وقهرا واضطهدا .

٢ ـ ومن إدبار الدين الإسلامى :

(أ) تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يرى فيها إلا الفقيه أو الفقيهان فهما مقهوران ذليلان .

(ب) لا يجدان إن تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعاً أو قهراً أو اضطهاداً فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً .

سبحان الله !! إن المؤمن العالم بالسنة النبوية المطهرة ، الفقيه فى الدين ، فى آخر الزمان ، عندما يحل الفساد ، يصبح غريباً مقهوراً ذليلاً ، لا يجد أعواناً ولا أنصاراً !! لقد تحولت قيمة المؤمن ، العالم ، العامل ، تحولت قيمته إلى أقل من قيمة صغار الغنم فى القبيلة .. إن ذلك من أشراط الساعة كما أخبرنا الهادى البشير ﷺ .

استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم : هل سيجىء ذلك اليوم الذى نرى فيه الرجل يقرأ القرآن على لسان محمد رسولنا العظيم يعيده ، ويزيده ، ويبديه ، يذكر الحلال والحرام ، وينزل عند منازله ، هذا العبد الصالح لا يجوز فينا إلا كما يجوز الحمار الميت . هذا الزمان يكون المؤمن فيه أذل من الآمة!!! اللهم لا ترينا هذا الزمان .

«إن لكل شيء إقبالاً وإدباراً وإن من إقبال هذا الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة ومابعثنى الله به ، وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان. إن تكلما قُمِعا وقهرا واضطهدا ، وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يرى فيها إلا الفقيه والفقيهان فهما مقهوران ذليلان إن تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعا وقهرا واضطهدا ، فهما مقهوران ذليلان لايجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً»(١٠١) .

آخــر الزمــان

فوصف فى هذا الحديث المؤمن العالم بالسنة الفقيه فى الدين بأنه يكون فى آخر الزمان عند فساده مقهوراً ذليلاً لا يجد أعواناً ولاأنصاراً . وخرّج الطبرانى أيضاً بإسناد فيه ضعف عن ابن مسعود عن النبى ﷺ فى حديث طويل فى ذكر أشراط الساعة قال : «**وإن من أشراطها أن يكون المؤمن فى القبيلة أذل من النقد**»(١٠٢) ، والنقد هم الغنم الصغار .

وفى مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت(١٠٣) أنه قال لرجل من أصحابه :

---

(١٠١) حديث أورده الهيثمى فى كتابه (مجمع الزوائد) [٧/٢٦١ و ٢٦٢]ـ وقال : رواه الطبرانى وفيه على بن يزد وهو متروك .

والمتروك من الألقاب التى تشمل الحديث الضعيف ومعنى المتروك هو مايرويه متهم بالكذب ولا يعرف إلا من جهته .

(١٠٢) النقد والنقاد هى صغار الغنم . وصاحبها النقاد . كما يقول الزمخشرى .

وفى القاموس المحيط للفيروز آبادى : النقد هو جنس من الغنم ، قبيح الشكل . وقيل : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه . وهذا النوع من الغنم يوجد بالبحرين . وواحدة (النقاد) : نقدة .

(١٠٣) بطل من أبطال الإسلام لايشق له غبار ، كان أسود اللون ، أبيض القلب والسريرة ، نقى الوجدان والمشاعر .

اشترك مع عمرو بن العاص فى فتح مصر وناقش المقوقس عظيم القبط فى مصر فى الإسلام وسماحته ومايدعو إليه وعرض عليه الدخول فى الإسلام ، أو الجزية أو الحرب .

وصفه عمرو للمقوقس بأنه أكثرهم علماً ومعرفة بالإسلام .

اسمه بالكامل : أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيسى بن أحزم الأنصارى الخزرجى المدنى .

شهد العقبة الأولى والعقبة الثانية مع رسولنا البشير ﷺ . =

يوشك أن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرّم حرامه ، ونزل عند منازله لايجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت . ومثله قول ابن مسعود : يأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمَة وإنما ذل المؤمن آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات[١٠٤] فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لما هم عليه .

الوحشـــــة

ولما مات داود الطائى[١٠٥] قال ابن السماك[١٠٦] : إن داود نظر بقلبه إلى ما بين يديه فأغشى بصر قلبه بصر العيون فكأنه لم ينظر إلى ما أنتم إليه تنظرون وكأنكم لاتنظرون إلى ما إليه ينظر فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، استوحش منكم إنه كان حياً وسط موتى ومنهم من كان يكرهه أهله وولده لاستنكار حاله . سمع عمر بن

= كانت وفاته ببيت المقدس المشرف ، وقيل توفى بالرملة الفلسطينية العربية سنة ٣٤هـ عن عمرٍ يناهز الـ ٧٢ سنة وقيل توفى سنة ٤٥هـ . والتاريخ الأول أصح وأشهر . وقيل عاش إلى زمن خلافة معاوية بن أبى سفيان .

(١٠٤) يذل المؤمن العالم العامل آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد من أهل الشهوات والشبهات ، فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم ، ومقصوده لمقصودهم ، ومباينته لما هم عليه !!

وقد علق ابن السماك على وفاة داود الطائى : بأنه ـ أى داود ـ نظر بقلبه إلى مابين يديه فأغشى بصر قلبه ، بصر العيون فكأنه لم ينظر إلى ما أنتم إليه تنظرون وكأنكم لاتنظرون إلى ما إليه ينظر فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب استوحش منكم ، أنه كان حياً وسط موتى !!

(١٠٥) داود بن نصر الطائى الكوفى : يكنى أبا سليمان . قال ابن سعد فى طبقاته : كان قد سمع الحديث وفقه وعرف النحو وعلم أيام الناس وأمورهم ، ثم تعبد ، فلم يكن يتكلم فى ذلك بشئ .

قال الذهبى : هو ثقة بلا نزاع .

وثقه ابن معين .

راجع فى ذلك : التاريخ الكبير (٢/٥٦ ، ٣/٢٤٠) والميزان (١/٢٠٨ ، ٢/٢١) ، والطبقات الكبرى (٢٥٥ ، ٧/٢٦٠) ، والتاريخ الصغير (٢/١٣٦) .

(١٠٦) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك . وهو كوفى من العراق ، لكنه قدم إلى بغداد العاصمة العباسية ، مكث بها مدة ، ثم عاد إلى الكوفة مرة أخرى ، فتوفى بها سنة ١٨٣هـ .

[راجع : تاريخ بغداد (٨/٣٥٤ ، ٣٥٥] .

عبد العزيز[107] امرأته مرة تقول : أراحنا الله منك . قال : آمين . وقد كان السلف قديماً يصفون المؤمن بالغربة فى زمانهم كما سبق مثله عن الحسن والأوزاعى وسفيان وغيرهم .

---

(١٠٧) حقاً إنها قمة الغربة ، الخليفة الراشد الخامس العادل أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ، القرشى ، الأموى ، التابعى ، المتوفى شهر رجب سنة ١٠١ هـ .

عمر بن عبد العزيز أعدل حاكم بعد الخلفاء الراشدين ، كان جديراً باللقب العظيم الذى أطلقه عليه المؤرخون .. وهو خامس الخلفاء الراشدين .. فهو فى عدله وتقواه وورعه وخشيته من الله لا يقل عن واحدٍ من هؤلاء الخلفاء المهديين . كان إذا ذكر الله يرتجف جسده حتى إن زوجته كانت تتوقع أن يموت كل ليلة .. ورغم أنه ولد فى أحضان النعيم فإنه ما كاد يتولى الخلافة حتى أعرض عن الدنيا وزينتها ، وزهد فى متاعها ، وأقبل على الآخرة بقلب تضيئه العقيدة ، ونفس أوابة ، ووجدان نقى .

كان مولد العادل ابن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وقيل بحلوان المصرية ، وتولى الخلافة فى شهر صفر سنة ٩٩ هـ .. وكانت أول خطبة ألقاها فى المسلمين يقول فيها :

« أوصيكم بتقوى الله فإنها خلف من كل شئ .. إن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتابها أو نبيها .. وإنما اختلفت فى الدينار والدرهم .. وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً .. أو أمنع أحداً حقاً .. أطيعونى ما أطعت الله .. فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

واكتفى عمر بأن يركب بغلته ، وألا يتقاضى أجراً من بيت المال ، ورفض أن تسير الشرطة بين يديه ..

ثم أخذ جواهر ابنته وأودعها بيت المال .. كما أخذ الأموال والأراضى التى كانت بأيدى أقاربه وردها إلى بيت المال أيضاً

وشدد عمر على عدم استغلال النفوذ ، وحظر على الولاة أن يتاجروا .. لأنهم يستطيعون بنفوذهم أن يضروا الناس . كما حظر عليهم أن يستأثروا بالأموال العامة .

وأعطى عمر للمظلومين حق الدخول عليه بدون استئذان .. وقال : من ظلمه عامله فليس عنه منى إذن . وأمر الولاة ببناء الخانات (الفنادق والاستراحات) لإيواء المسافرين وأهل السبيل ، وأصبح من حق المسافر مهما كان أن يقيم على نفقة الدولة .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز استقرت أحوال الدولة الإسلامية تماماً ، وقمعت الفتنة التى كانت ناشبة فيها

ودعا عمر القرامطة إلى إجراء حوار حول الأسباب التى من أجلها انشقوا على المسلمين وحملوا السلاح وبعد حوار وجدال ، بالحكمة والموعظة الحسنة اقتنع القرامطة بوجهة نظر عمر . وأطفئت نار الفتنة ، وساد السلام والهدوء أرجاء الدولة الإسلامية ..

وقد انتشر الإسلام فى عهد عمر بصورة لم يحدث لها مثيل .. وذلك بفضل السياسة الحكيمة النابعة من مبادئ الإسلام ، والتى كان عمر ينتهجها قولاً وسلوكاً .. فقد أعفى أهل الذمة من الجزية تماماً . وقال قولته المشهورة : « إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً » .

وعمر بن عبد العزيز هو الذى أمر بجمع الأحاديث النبوية فى عصره .. وأمر بأن يتم الجمع عن طريق الثقات المشهود لهم بالتقوى والورع ..

وكان عمر يرفض قبول الهدايا والرشاوى .. وحدث أن علم أحد المسلمين أن الخليفة رغب فى أكل التفاح ولكنه لم يجد مالاً يشترى به هذه الفاكهة .. فأهدى إليه هذا الرجل كمية من التفاح فرفض قبولها .. ولما سأله=

ابن عاصم شاهد على العصر !!

ومن كلام أحمد بن عاصم الأنطاكى[108] وكان من كبار العارفين فى زمان أبى سليمان الدارانى[109] .

[أنه] قال : إنى أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ . إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بحب الدنيا ، يحب التعظيم والرئاسة . وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلاً فى عبادته ، مخدوعاً صريعاً غدر به إبليس . قد صعد به إلى أعلى درجة العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها وسائر ذلك من الرعاع همج، عوج، وذئاب مختلسة ، وسباع ضارية ،

=عن سبب رفض الهدية ، قال عمر : «أنا لا أقبل الهدية وأنا خليفة المسلمين» .

ولم يكن عمر يريد أن ينفرد عن الناس بشيء .. وبلغ من إنكاره لذاتِهِ أن طلب من خطباء المساجد ألا يخصوه بأى دعاء .. وقال لهم : «ادعو للمؤمنين والمؤمنات عامة .. فإن كنت منهم أدخل فيهم» .

وذكر الإمام ابن الجوزى : أن عمر بن العزيز كان كثير البكاء ، ولما سئل عن ذلك قال : «إننى أذكر منصرف الخلائق بين يدى الله ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير» .. ثم غشى عليه .

وعثر عمر بأحد النائمين فى المسجد ، فقال له الرجل : أمجنون أنت ؟ .. فهم الحارس بتأنيب الرجل ، فمنعه عمر ، وقال له : لقد سألنى عما إذا كنت مجنوناً فقلتُ له : لا ..

ولم يكن ابن عبد العزيز رحيماً بالناس فقط .. وإنما كان رحيماً بالدواب أيضاً ، بكل ذى كبد رطبة .. فقد نهى عن إلجام الدواب بالثقال وعن ركض الدابة من غير حق .

لقد كان عمر أرفع أنموذج للحاكم المسلم الورع .. كان نقى السريرة ، نقاء النور .. كان عفيف القلب واليد واللسان .. لم يعرف عنه أنه تكلم كلمة واحدة ينكرها الإسلام .. وإنما كانت حياته خالصة لله قولاً وعملاً .. وكانت مدة خلافته عامين وخمسة أشهر فقط نشر فيها الرحمة والعدل والتقوى ، حتى قابل بارئه راضياً مرضياً .

(108) أحمد بن عاصم الأنطاكى- من كبار العارفين فى زمان أبى سليمان الدارانى .

وابن عاصم الأنطاكى هو أبو عبد الله- وقيل : أبو على ، الذى كان يسميه الدارانى (جاسوس القلوب) لحدة فراسته ، وهو من أقران بشر الحافى الصوفى الورع ، ومعاصره السرى السقطى العالم الصوفى التقى ، ومعاصره الحارث المحاسبى الصوفى العالم الزاهد . رحمهم الله جميعاً ونفعنا بعلمهم الغزير وفيضهم الجليل .

ويقال : أن أحمد بن عاصم الأنطاكى رأى وتكلم مع الفضيل بن عياض .

(109) أبو سليمان الدارانى : أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى العبسى ، من أهل داريا ، وهى من قرى دمشق السورية ، كانت وفاته سنة ٢١٥هـ .

وثعالب ضوار(١١٠) هذا وصف عيون أهل زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة . خرّجه أبو نعيم فى الحلية . فهذا وصف أهل زمانه فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهى التى لم تخطر بباله ولم تدر فى خياله .

رجل من الصدر الأول

وخرّج الطبرانى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد** »(١١١) . وخرّج أبو الشيخ الأصبهانى(١١٢) بإسناده عن الحسن قال : لو أن رجلاً من الصدر الأول(١١٣) بعث اليوم ماعرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة . ثم قال : أما والله لئن عاش إلى هذه المنكرات فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته أو صاحب دنيا يدعو إلى دنيا فعصمه الله عز وجل وقلبه يحن إلى ذلك السلف الصالح فيتبع آثارهم ويستن بسنتهم ويتبع سبيلهم(١١٤) كان له أجر عظيم . وروى ابن المبارك(١١٥) عن الفضيل عن الحسن أنه ذكر الغنى المترف(١١٦)

---

(١١٠) صدقت يا أبا عاصم كأنك ترى زماننا من عالم الباقى السرمدى : عاد الإسلام غريباً كما بدأ ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ .

(١١١) حديث ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٢٧/٣٣٤/١) وقال : ضعيف .

أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٢٠٠/٨) من طريق الطبرانى .. وقال عنه الطبرانى : « غريب من حديث عبد العزيز بن عطاء » . قلت : ومحمد بن صالح العذرى لم أعرفه .

قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٧٢/١) : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه محمد بن صالح العدوى (كذا) ولم أر من ترجمة وبقية رجاله ثقات » .

وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤١/١) : وإسناده لا بأس به ، ليس كما ينبغى .

وفى مفتاح الجنة (١٨/السلفية) قال السيوطى : رواه التبريزى فى مشكاة المصابيح (٦٣/١) وكلهم عن طريق الطبرانى الضعيف .

(١١٢) أبو الشيخ الأصبهانى هو المحدث أبو الشيخ محمد بن حسين بن إبراهيم بن زياد الأصبهانى ، أبهرى الأصل ، سكن بغداد العراقية وحدث بها . كانت وفاته سنة ٢٨٦هـ وقيل : سنة ٢٩٠هـ .

(١١٣) من أيام النبوة وعهد السلف الصالح . (١١٤) طريقهم .

(١١٥) ابن المبارك هو الإمام الحافظ العلّامة ، شيخ الإسلام ، عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلى ، مولاهم المروزى ، التركى الأب ، الخوارزمى الأم ، ولد فى دولة هشام بن عبد الملك سنة ١١٨هـ ، أو بعدها بعام واحد ، وقد أدرك كثيراً من التابعين .

وقال عبدان والحسن بن الربيع : مات ابن المبارك فى شهر رمضان سنة ١٨١هـ .

(١١٦) الأغنياء من أهل الترف ، الحكام ، أصحاب السلطان يأخذون المال ، ويدعون أنه لا عقاب فيه !!=

الذى له سلطان يأخذ المال، ويدعى أنه لا عقاب فيه وذكر المبتدع الضال الذى خرج بسيفه على المسلمين وتأول ما أنزل الله فى الكفار على المسلمين .

المترف والجاهل

ثم قال : سنتكم والذى لا إله إلا هو بينهما بين الغالى والجافى، والمترف والجاهل فاصبروا عليها فإن أهل السنة كانوا أقل الناس الذين لم يأخذوا مع أهل الأتراف فى أترافهم، ولا مع أهل البدع فى أهوائهم، وصبروا على سنتهم حتى أتوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا . ثم قال : والله لو أن رجلاً أدرك هذه المنكرات يقول هذا هلم إلىّ ويقول هذا : هلم إلىّ فيقولُ لا أريد إلا سنة محمد ﷺ يطلُبها ويسأل عنها إن هذا ليعرض له أجر عظيم فكذلك فكونوا إن شاء الله تعالى .

الهمج والرعاع

ومن هذا المعنى ما رواه أبو نعيم وغيره عن كميل بن زياد(١١٧) عن على بن أبى

= وهذا مبتدع ضال يخرج بسيفه و «مِطواه» ومسدسه على المسلمين الأمناء الآمنين متأولاً ما أنزل على الكفار على المسلمين ، يكفرون عباد الله .

سبحان الله هذه سنتنا المباركة المطهرة يتاجر فيها الغالى والجافى، والمترف والجاهل .

أصبروا عليها فإن أهل السنة كانوا أقل الناس الذين لم يأخذوا مع أهل الإتراف فى إترافهم، ولا مع أهل البدع فى أهوائهم المضللة !! وصبروا صبراً عظيماً على سنتهم حتى أتوا ربهم العلى العظيم .

كل الأطراف الضالة المُضللة تغرى العبد الصالح المؤمن ، هذا يقول هلم إلى ، وذاك يقول هلم لى فيقول المؤمن : لا أريد إلا سنة محمد الهادى البشير ﷺ ، أطلبها ، وأسأل عنها .

وبهذا ينال المؤمن الأجر الصالح العظيم .

ولنلبى نداء الحسن بن على رضى الله عنهما : «فكونوا إن شاء الله تعالى» .

(١١٧) هو كميل بن زيادة بن نهيك بن الهيثم بن سعد بن مالك بن الحارث الكوفى الحنفى التابعى ، وفى نسبه اختلاف ، وهو من عباد أهل مكة المكرمة .

قال ابن حجر العسقلانى فى «تقريب التهذيب» (٧٠/١٣٦/٢) : ثقة ، رمى بالتشيع ، من الثالثة ، مات سنة ٨٢ هـ .

طالب رضى الله عنه أنه قال[118] : الناس ثلاثة : عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاةٍ وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق . ثم ذكر كلاماً فى فضل العلم إلى أن قال : ها إن ههنا لعلم جم [لعلماً جماً] وأشار بيده إلى صدره ، لو أصبت له حملة بلى، أصيب لقنا[119] غير مأمون عليه مستعملاً آله الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاد لحملة الحق لا بصيرة فى أحنانه [أنحائِهِ] ينقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة إلا لاذا ، ولا ذاك أو منهوماً[120] باللذة ، سلس القيادة للشهوة ، ، أو مغرماً بالجمع والادخار ليسا من دعاة الدين فى شىء .

السائمة

أقرب شىء شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة[121] ، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً معموراً، لئلاً تبطل

---

(118) العبارة مروية فى كتاب نهج البلاغة المنسوب إلى الإمام على كرم الله وجهه (١٨٦/٣/ط مطبعة الاستقامة) .

(119) معنى لقنا أى الذى يفهم بسرعة ولكن لايبتغى العلم للحق .

(120) منهوماً : أى مفرط فى شهوته لا يشبع أبداً .

(121) يقول الإمام على كرم الله وجهه : الناس ثلاثة أنواع : عالم يقترب بالعلم من ربه ، ومتعلم يتعلم على سبيل النجاة فقط لا غير ، وهمج رعاع يتبعون أى دعوة ضالة يميلون مع كل مدعى صائح بأى مذهب هدام لأنهم لم يستنيروا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركنه الوثيق المنيع .

ويتكلم الإمام على كرم الله وجهه عن العلم وفضله : إن فى الصدر العلم الحقيقى ، علم كثير ، غزير . لو أصبت له حملة ، ولكن نوع من الناس لايبتغى به الحق ووجه الله غير مأمون على حمله ، إنه يستعمل الدين كآلة للدنيا ، مستظهراً بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه . أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة فى احنائه ، ينقدح الشك فى قلبه لأول شبهة تقابله .

وآخر منهوماً باللذة الدنيوية يسلم لها القيادة ، وآخر مغرماً بالجمع والإدخار ، ليسا من رعاة الدين فى شىء ، أقرب شىء شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه .

ولكن مهما يكن الأمر لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً معموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته .

إن هؤلاء الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حججه وبيناته .

حجج الله وبيناته وكم ذا وأين أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً يحفظ الله بهم بحججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها فى قلوبهم أشباهم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره[122] المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه ، آه .. آه .. شوقاً إلى رؤيتهم انصرف إذا شئت .

حملـــة العلـــم

فقسم أمير المؤمنين رضى الله عنه حملة العلم إلى ثلاثة أقسام : قسم هم أهل الشبهات وهم من لا بصيرة له من حملة العلم ينقدح الشك فى قلبه بأول عرض من شبهة فتأخذه الشبهة فيقع فى الحيرة والشكوك ويخرج من ذلك إلى البدع والضلالات ، وقسم هم أهل الشهوات وحظهم نوعان : أحدهما يطلب الدنيا بنفس العلم فيجعل العلم آلة لكسب الدنيا ، والثانى من همه جمع الدنيا واكتنازها وادخارها . وكل هؤلاء ليسوا من دعاة الدين وإنما هم كالأنعام . ولهذا شبه الله تعالى من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمار الذى يحمل أسفاراً .

عالـــم الســـوء

وشبه عالم السوء الذى انسلخ من آيات الله، وأخلد إلى الأرض، واتبع هواه بالكلب ، والكلب والحمار أخس الأنعام وأضل سبيلاً ! والقسم الثالث من حملة العلم هم أهله وحملته ودعاته والقائمون بحجج الله وبيناته وذكر أنهم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً إشارة إلى قلة هذا القسم وغربته من حملة العلم وقد قسم

---

(١٢٢) من وعر– جبل (وعر) بالتسكين ومطلب وعر . ولاتقل وعر . وقد (وعر) بالضم (وعورة) و(توعر) أى صار (وعراً) . و(وعره) غيره (توعيراً) . و(استوعره) وجده وعراً .

الحسن البصرى[١٢٣] رضى الله عنه حملة القرآن إلى قريب من هذا التقسيم الذى قسمه على رضى الله عنه لحملة العلم .

طلب الولاية

قال الحسن : قُرّاء القرآن ثلاثة أصناف : صنف اتخذوه بضاعة فيأكلون به وصنف أقاموا حروفه ، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستندوا به لطلب الولاية ، كثر هذا الضرب من حملة القرآن لأكثرهم الله ، وضرب عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، فركدوا به فى محاريبهم، وحنوا به برانسهم[١٢٤] ، واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء . والله لهؤلاء الضرب فى حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن .

قُـرّاء القـرآن

فأخبر أن هذا القسم وهم قراء القرآن جعلوه دواء لقلوبهم فأثار لهم الخوف والحزن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن . ووصف أمير المؤمنين رضى الله عنه هذا القسم من حملة العلم بصفات منها: أنه هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ومعنى ذلك أن العلم دلهم على المقصود الأعظم وهو معرفة الله فخافوه وأحبوه حتى سهل ذلك عليهم كل ما تعسر على غيرهم، فلم يصل إلى ما وصلوا إليه ممن وقف مع الدنيا

---

(١٢٣) الحسن بن أبى الحسن البصرى عالم جليل ، وفقيه ورع ، اسم أبيه : يسار ، بالتحتانية والمهملة ، الأنصارى مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيراً .

قال البزار : كان يروى عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز .

ويقول البزار أيضاً : حدثنا وخطبنا ، يعنى قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة ، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة . توفى سنة ١١٠هـ ، وقد قارب التسعين . [راجع تقريب التهذيب (٢٦٣/١٦٥/١)] .

(١٢٤) أى جعلوا له حنيناً فى برانسهم . والبرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به .

وزينتها وزهرتها. واغتر بها ولم يباشر قلبه معرفة الله وعظمته وإجلاله فاستلانوا ما استوعر منه المترفون . فإن المترف الواقع مع شهوات الدنيا ولذاتها يصعب عليه ترك لذاتها وشهواتها لأنه لا عوض عنده من لذات الدنيا إذا تركها فهو لا يصبر على تركها فهؤلاء فى قلوبهم العوض الأكبر بما وصلوا إليه من لذة معرفة الله ومحبته وإجلاله .

الحســـن يقـــول

كما كان الحسن يقول : أحباء الله هم الذين ورثوا طيب الحياة، وذاقوا نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوا من لذة حبه فى قلوبهم من كلام يطول ذكره هنا فى هذا المعنى وإنما أنس هؤلاء بما استوحش منه الجاهلون لأن الجاهلون بالله يستوحشون من ترك الدنيا وشهواتها لأنهم لايعرفون سواها فهى أنسهم وهؤلاء يستوحشون من ذلك ويستأنسون بالله وبذكره ومعرفته ومحبته وتلاوة كتابه والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يجدون الأنس به .

الدنيا بين الممر والمقر !

ومن صفاتهم التى وصفهم بها أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنهم صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالنظر الأعلى وهذا إشارة إلى أنهم لم يتخذوها وطناً ولا رضوا بها إقامة ولا مسكناً إنما اتخذوها ممراً ولم يجعلوها مقراً وجميع الكتب والرسل أوصت بهذا وقد أخبر الله تعالى فى كتابه عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه فى وعظه لهم : ﴿**ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار**﴾[١٢٥]

أنت عابر سبيل !!

وقال النبى ﷺ لابن عمر رضى الله عنهما : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو**

---

(١٢٥) الآية ٣٩ من سورة غافر وهى سورة مكية ، إلا آيتى ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد سورة الزمر ونص الآية : ﴿ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هى دار القرار﴾ .

عابر سبيل فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل»[١٢٦] . وفى رواية : «**وعُد نفسك من أهل القبور»**[١٢٧] . ومن وصايا المسيح عليه السلام[١٢٨] أنه قال : من الذي يبنى على موج البحر داراً؟ تلك الدنيا ! فلا تتخذوها قراراً. فالمؤمن فى الدنيا كالغريب المجتاز ببلدة غير مستوطن فيها فهو يشتاق إلى بلده وهمه الرجوع إليه والتزود بما يوصله فى طريقه إلى وطنه ولا ينافس أهل ذلك البلد المستوطن فيه فى عزهم ، ولا يجزع مما أصابه عندهم من الذل . قال الفضيل بن عياض : المؤمن فى الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهاره[١٢٩] .

الوطـــن والإيمـــان

وقال الحسن: المؤمن فى الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس فى عزها، له شأن وللناس شأن. وفى الحقيقة فالمؤمن فى الدنيا غريب لأن أباه لما كان فى دار البقاء ثم خرج منها فهمه الرجوع إلى مسكنه الأول فهو أبداً يحن إلى وطنه الذى أُخرج منه . كما يقال : حب الوطن من الإيمان[١٣٠] ، وكما قيل :

---

(١٢٦) حديث رواه البخارى فى صحيحه (٨١/٣/٦٤١٦) موقوفاً على عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
ومعنى موقوفاً الحديث المروى عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً لا عن الرسول ﷺ .
وتمامه : «... إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ؛ وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك» .

ورواه الترمذى فى سننه (٣٧/٢٥/٢٣٣٣) ، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده (٢/٢٤/ ط الحلبى) ، وفى (٢/٤١) ، وفى (٢/١٣٢/ حلبى) بزيادات مختلفة .

(١٢٧) هذه الزيادة رواها أحمد بن حنبل فى مسنده (٢/٢٤/ الحلبى) . ورواها الترمذى فى سننه (٣٧/٢٥/ ٢٣٣٣) .

(١٢٨) المسيح عيسى (عليه السلام) عبد الله وكلمته التى ألقاها إلى العذراء مريم وروح منه ، خلقه الله بغير أب ، وبشر به الملك قبل ولادته ، وجعله الله يكلم الناس فى المهد وكهلاً ، وجعله آية مباركة للناس ، وأنزل عليه الإنجيل مبشراً بالنبى محمد ﷺ مصدقاً لما بين يديه من توراة موسى ، وآتاه من المعجزات الحسية الكثير ، فكان ينفخ فى الطين كهيئة الطير فتكون طيراً بإذن الله ، وكان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيى الموتى وينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، وكل ذلك بإذن الله تعالى ، لم يؤمن به إلا الحواريون ، وكذب به قومه وأرادوا قتله ، فشبه لهم بغيره ، ورفعه الله إليه وسلمه منهم .

(١٢٩) رواه أحمد فى كتابه الزهد (ص ٢٦٢) .

(١٣٠) هذا الحديث ضعيف . رواه الهروى فى المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع (٦١/ حلب) ، قائلاً : =

كم منزل فى الأرض يألفه الفـ ـتى وحنينه أبداً لأول منزل[١٣١]

ولبعض شيوخنا فى هذا المعنى :

فحى على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم ؟
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغرم
فأى اغتراب فوق غربتنا التى لها أضحت الأعداء فينا تحكم[١٣٢]

والمؤمن فى هذا القسم أقسام منهم : من قلبه معلق بالجنة ، ومنهم من قلبه معلق عند خالقه وهم العارفون، ولعل أمير المؤمنين [على] رضى الله عنه إنما أشار[١٣٣] إلى هذا القسم فالعارفون أبدانهم فى الدنيا وقلوبهم عند المولى . وفى مراسيل[١٣٤] الحسن[١٣٥]

=لا أصل له عند الحفاظ . وأورده السخاوى فى كتابه المقاصد الحسنة (١٨٢/مصر) ، وقال : لم أقف عليه ومعناه صحيح . وأورده العجلونى فى كشف الخفاء (١١٠٢/٤١٣/١) ، وقال الصنعانى : موضوع . وذكره الألبانى فى الأحاديث الضعيفة (٣٦/٥٥/١) وقال : ومعناه غير مستقيم إذ أن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه ، كل ذلك غريزى فى الإنسان لا يمدح بحبه ، ولا هو من لوازم الإيمان ، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون فى هذا الحب لا فرق فى ذلك بين مؤمنهم وكافرهم .

(١٣١) أى للوطن الأم ، لمسقط الرأس .

(١٣٢) لا أعرف بالتحديد مقصد الشاعر فالمعنى كما يقولون فى بطن الشاعر وليس فى تحليل الناقد ، فهو يشبه داره بجنات عدن فهى منازلنا الأولى وفيها المخيم وقد يكون مقصده الجنة التى يأمل فيها ويرى أنه سكنه الحقيقى ومكانه الأول .

ولكن الشاعر ومن معه سبى العدو ، فيسأل وكل أمل ورجاء : هل يعود إلى وطنه الأم سالماً ؟! ولعله يقصد بالعدو الفتن التى تلاحق المؤمن ، ويرجو أن يعود إلى الإسلام الوطن ، أو الدين السليم صحيحاً ، وأن ينقذه الله من هذه الإحن ويقول : إن البعض زعم أن الغريب إذا بعد عن الأوطان فهو مغرم ، ولكن شاعرنا لا يوافق على ذلك ألبتة : فأى اغتراب فوق الغربة التى لها أضحت الأعداء تتحكم فينا ؟! ولعل الأعداء هنا الأهواء .

(١٣٣) يقصد الإمام على كرم الله وجهه .

(١٣٤) مراسيل مفردها مرسل وهو الحديث الذى يرفعه التابعى إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وهو غير حجة عند المحدثين إلا إذا عضده غيره .

(١٣٥) وعن الحسن يقول ابن حجر العسقلانى فى طبقات المدلسين (ص ١٩ ، ٢٠ /مصر) : من سادات التابعين ، رأى عثمان ، وسمع خطبته ، ورأى علياً كرم الله وجهه ولم يثبت سماعه منه ، كان مكثراً من الحديث ويرسل كثيراً عن كل أحد . وصفه بتدليس الإسناد النسائى وغيره .

ومعنى التدليس أو المدلس : هو أن يروى الراوى عمن عاصره ولم يلقه أو عمن لقيه ـ ولم يسمع منه ـ على وجه يوهم سماعه .

عن النبى ﷺ يرويه عن ربه : «**علامة الطُهر أن يكون قلب العبد عندى معلقاً فإذا كان كذلك لم ينس على كل حال وإذا كان كذلك فتنت عليه بالاشغال بى كيلا ينسانى فإذا لم ينسانى حركت قلبه فإذا تكلم تكلم بى وإذا سكت سكت بى فذلك الذى تأتيه المعونة من عندى**» .

غربـــاء الغربـــة

وأهل هذا الشأن هم غرباء الغرباء وغربتهم أعز الغربة فإن الغربة عند أهل الطريقة غربتان ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة غربة أهل الصلاح بين الفساق وغربة الصادقين بين أهل [الرياء][136] والنفاق وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والإشفاق وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفذ وليس بباق .

غـربـــة العارفـــين

وأما الغربة الباطنة[137] فغربة الهمة وهى غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والعباد والزهاد فإن أولئك واقفون مع عملهم وعبادتهم وزهدهم وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يعرجون بقلوبهم عنه فكان أبو سليمان الدارانى يقول : فى

---

(١٣٦) الرياء وليس الرباء .

(١٣٧) الغربة غربتان :

[غربة ظاهرة] و [غربة باطنة]

ومن أنواع الغربة الظاهرة :

١ ـ غربة أهل الصلاح بين الفساق .

٢ ـ غربة الصادقين بين أهل الرياء والنفاق .

٣ ـ غربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخـــلاق .

٤ ـ غربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والإشفاق .

٥ ـ غربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفد وليس بباقٍ .

ومن أنواع الغربة الباطنة :

١ ـ غربة الهمة وهى غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والعباد والزهاد .

٢ ـ الزاهد غريب بين أهل الدنيا (مشهور) .

٣ ـ العارف غريب الآخرة لا يعرفه العباد ولا الزهاد ، وإنما يعرفه من هو مثله ، وهمته كهمته (مستور) .

صفتهم وهمتهم غير همة الناس وإرادتهم الآخرة غير إرادة الناس ودعاؤهم غير دعاء الناس . وسُئل عن أفضل الأعمال فبكى وقال : أن يطلع على قلبك فلا يراك تريد من الدنيا والآخرة غيره . وقال يحيى بن معاذ : الزاهد غريب الدنيا والعارف غريب الآخرة ، يشير إلى أن الزاهد غريب بين أهل الدنيا والعارف غريب بين أهل الآخرة لا يعرفه العباد ولا الزهاد وإنما يعرفه من هو مثله وهمته كهمته وربما اجتمعت للعارف هذه الغربات كلها أو كثير منها أو بعضها فلا يسأل عن غربته حينئذ فالعارفون ظاهرون لأهل الدنيا والآخرة .

الله يحب العبد الخفى التقى

قال يحيى بن معاذ : العابد مشهور والعارف مستور وربما خفى حال العارف على نفسه لخفاء حالته وإساءة الظن بنفسه . قال إبراهيم بن أدهم[١٣٨] : ماأرى هذا الأمر إلا فى رجل لا يعرف ذلك من نفسه ولا يعرفه الناس . وفى حديث سعد عن النبى ﷺ : «**إن الله يحب العبد الخفى التقى**[١٣٩]» . وفى حديث معاذ[١٤٠] عن النبى ﷺ : «**إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم**» .

---

(١٣٨) إبراهيم بن أدهم : صوفى جليل ، نشأ بمدينة بلخ فى بيت عز وثراء ، ولكنه انصرف إلى الزهد والتصوف بعد فترة دراسة وتأمل فى بغداد ووهب ثروة أبيه لغيره من أهل الله . اشترك فى حملات الجهاد الإسلامى ضد الروم وتوفى فى إحدى هذه الحملات عام ١٦٦هـ (٨٧٣)م .

(١٣٩) حديث رواه مسلم فى صحيحه (١٠/٥٣) ، ونص الحديث : «إن الله يحب العبد النقى ، الغنى ، الخفى» .

ورواه أحمد فى مسنده حديث رقم (١٤٤١) بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر .

كما أورده السيوطى فى الفتح الكبير (٣٥٤/١/ ط الحلبى) كلهم عن طريق سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وأرضاه .

(١٤٠) معاذ بن جبل ـ السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصارى ، أسلم وله ١٨ سنة ، وشهد العقبة وهو شاباً صغيراً ، وشهد غزوة بدر الكبرى وله ٢٠ سنة ، وكان ممن جمع القرآن ، وفى الحديث : «معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله» أرسله النبى ﷺ إلي اليمن ليفقه الناس ويعلمهم ويقضى بينهم ، ولما فتح مكة المكرمة تركه فيها يقرئ الناس ويفقههم .

وكان عمر بن الخطاب يقول دائماً : «لولا معاذ بن جبل لهلك عمر» .

مصـــابيح الهـــدى

وعن على بن أبى طالب[١٤١] رضى الله عنه قال : فطوبى لكل عبد لم يعرف الناس ولم تعرفه الناس وعرفه الله منه برضوانه ، أولئك مصابيح الهدى تجلى عنهم كل فتنة مظلمة .

وقال ابن مسعود[١٤٢] رضى الله عنه. كونوا جدد القلوب، خلقان الثياب، مصابيح الظلام تخفون على أهل الأرض وتعرفون فى أهل السماء فهؤلاء أخص أهل الغربة وهم الفرارون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل الذين يحشرون مع عيسى عليه السلام وهم بين أهل الآخرة أعز من الكبريت الأحمر فكيف يكون حالهم بين أهل الدنيا وتخفى حالهم غالباً على الفريقين كما قال :

تواريت عن دهرى[١٤٣] بظل جناحه — فعينى ترى دهرى وليس يرانى
ولو تسئل الأيام ما اسمى ؟ لما دلت — وأين مكانى ؟ ما عرفن مكانى

ومن ظهر منهم للناس فهو بينهم ببدنه وقلبه معلق بالنظر الأعلى كما قال أمير المؤمنين [على] رضى الله عنه فى وصفهم :

جسمى معى غير أن الروح عندكم — فالجسم فى غربة والروح فى وطن

وكانت رابعة[١٤٤] العدوية رحمها الله تعالى تنشد فى هذا المعنى :

---

(١٤١) على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، هو ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، ووالد الحسن والحسين، ورابع العشرة المبشرين بالجنة .

كان أول من آمن بالدعوة الإسلامية المباركة من الشباب ، وهو الذى خلف رسولنا الكريم ﷺ فى فراشه ليلة الهجرة المكرمة ، ليضلل قريشاً معرّضاً نفسه للقتل فى مغامرة فدائية نادرة .

لحق بالنبى ﷺ فى المدينة بعد ثلاثة أيام ، شهد جميع مراحل الدعوة ، وكان عالماً فارساً ، استشهد على يد الخارجى ابن ملجم بضربه بسيفين مسمومين فى رمضان عام (٤٠ هـ ـ ٦٦١ م) .

(١٤٢) عبد الله بن مسعود من الأوائل المبكرين فى الإسلام ، وهو أول من جهر بالقرآن الكريم بين الكافرين بعد رسول الله ﷺ بمكة ، شهد كل المشاهد والغزوات جميعها ، ولى بيت مال الكوفة ، أحد رواة الحديث المشهود لهم بالثقة والأمانة ، وأحد علماء الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم جميعاً .

(١٤٣) زمـــنى .

(١٤٤) السيدة/ رابعة العدوية البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة ، كانت تصلى الليل كله ، فإذا طلع الفجر ، هجعت هجعة ، حتى لا يسفر الفجر .

=

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى   وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للحبيب مؤانس   وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

لابد لك من الله!

وأكثرهم لا يقوى على مخالطة الخلق فهو يفر إلى الخلوة ليستأنس بحبيبه ولهذا كان أكثرهم يطيل الوحدة وقيل لبعضهم : ألا تستوحش ؟ قال : كيف استوحش وهو يقول : « **أنا جليس من ذكرنى** » ؟ وقال آخر : وهل يستوحش مع الله أحد ؟ وعن بعضهم : من استوحش من وحدته فذلك لقلة أنسه بربه . وكان يحيى بن معاذ(١٤٥) كثير العزلة والإنفراد فعاتبه أخوه فقال له : إن كنت من الناس فلابد لك من الناس ، فقال يحيى : إن كنت من الناس فلابد لك من الله . وقيل له : إذا هجرت الخلق مع من تعيش ؟ قال : مع من هجرتهم له . وأنشد إبراهيم بن أدهم :

هجرت الخلق طرا فى هواكا   يتمت العيال لكى أراكا
فلو قطعتنى فى الحب إرباً   لما حن الفؤاد إلى سواكا

الراحــة الحقيقــية !!

وعوتب ابن غزوان(١٤٦) على خلوته فقال : إنى أصبت راحة قلبى فى مجالسة من لديه حاجتى ولغربتهم من الناس ربما نسب بعضهم إلىّ الجنون لبعد حاله من أحوال

= فكانت تقول : « يا نفس كم تنامين ، ولى كم تقومين ، يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور » .
والحقيقة فى قصة رابعة أنها عملت عازفة للناى فقط لا غير ، ولم تكن داعرة فى يوم من الأيام كما زعم بعض الكُتّاب والرواة ، فرابعة نقية ، تقية منذ يوم مولدها حتى لاقت باريها راضية مرضية ، وكانت شاعرة مرهفة الحس . نقل الناس عنها حكم كثيرة لا تعد ولا تحصى .

(١٤٥) صوفى وعالم عرف بالتقوى والورع والزهد ، كان كثير العزلة والانفراد ، وله أقوال مأثورة فى تحقير الدنيا والزهد فيها .
واسمه يحيى بن معاذ الرازى وهو صاحب المقولة المشهورة : كيف أدعوك وأنا عاصٍ ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم ؟ ! وبهذه المناسبة نقول أننا مع أى رأى أو أى فكر ينطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية السمحاء وضد ما يخالف ذلك .

(١٤٦) ابن غزوان وأبو مسلم الخولانى من أهل التصوف المشهور لهم بالعلم والورع ، عرف عنهما كثرة الذكر لله واللهج باسمه الكريم .

الناس كما كان أويس يقال ذلك عنه ، وكان أبو مسلم الخولانى كثير اللهج بالذكر لا يفتر لسانه فقال رجل لجلسائه : أمجنون صاحبكم ؟ قال أبو مسلم : يٰابن أخى لكن هذا دواء الجنون ! وفى الحديث عن النبى ﷺ : «**اذكروا الله حتى يقولوا مجنون**»[١٤٧] ! . وقال الحسن فى وصفهم : إذا نظر إليهم الجاهل حسبهم مرضى وما بالقوم من مرض !

الله معك حيثما كنت

ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم هيهات والله مشغول عن دنياكم ، وفى هذا المعنى قال :

وحرمة الود مالى عنكم عوض ... وليس لى فى سواكم سادتى غرض
وقد شرطت على قوم صحبتهم ... بأن قلبى لكم من دونهم فرضوا
ومن حديثى بهم قالوا : به مرض ... فقلت : لا زال عنى ذلك المرض

وفى الحديث ، أن النبى ﷺ أوصى إلى رجل فقال : «**استحى من الله كما تستحى من رجلين من صالحى عشيرتك لا يفارقانك**»[١٤٨] . وفى حديث آخر عنه ﷺ قال : «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**»[١٤٩] .

الله يراك دائماً !!

وفى حديث آخر أنه سئل ﷺ : ماتزكية المرء نفسه ؟ قال : «**أن يعلم أن الله معه حيث كان**» . وفى حديث آخر عنه ﷺ قال : «**ثلاثة فى ظل الله يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاظله، فذكر منهم رجلاً حيث وجه وجهه علم أن الله معه**»[١٥٠].

---

(١٤٧) لاأعتقد أن هذا الحديث صحيحاً لم أجده فى كتب السنة الصحيحة ، والله أعلم .

(١٤٨) حديث ضعيف ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة .

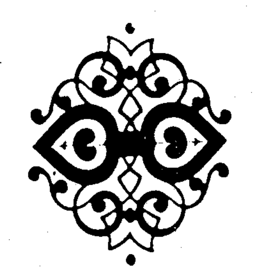
(١٤٩) حديث رواه الطبرانى فى الكبير . ورواه أبو نعيم فى الحلية . وذكره السيوطى فى الفتح الكبير (١/ ٢٠٨/ط الحلبى) عن عبادة بن الصامت .

(١٥٠) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير، ولفظه: «ثلاثة فى ظل الله عز وجل، يوم لاظل إلاظله، ورجل حيث توجه علم أن الله تعالى معه ، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله ، ورجل أحب لجلال الله ، قال ...» . رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه .

وثبت عنه ﷺ أنه سئل عن الإحسان ، فقال : «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١٥١) .

ولأبى عبادة فى هذا المعنى أبيات نقولها وقد أصلحت منها أبياتاً حتى استقامت على الطريق :

كان رقيباً منك خواطـــرى — وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما بصرت عيناى بعدك منظراً — يسوءك إلا قلت قد دفعانى
ولا بددت من فى بعدك لفظة — لغيرك إلا قلت قد سمعانى
ولاخطرت من ذكر غيرك خطرة — على القلب إلا عرجا بعنانى
إذا ماتسلى القاعــدون على — الهوى بذكر فلان أو كلام فلان
وجدت الذى يسلى سواى يشوقنى — إلى قربكم حتى أمل مكانى
وإخوان صدق قد سئمت لقاءهم — وأغضيت طرفى عنهم ولسانى
وماالغض أسلى عنهمَ غير أننى — أراك كما كل الجهات ترانى(١٥٢)



(١٥١) هذا جزء من حديث طويل مشهور رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى . من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه .

(١٥٢) يبدو أن هذه الأبيات قالها الشاعر فى إنسان أو إنسانة ، أصلحها ابن رجب لأنه وجد فيها دلالة على معنى روحى دينى عذب ـ والله أعلم .

[والحمد لله حمداً كثيراً ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ..

وإلى هنا ينتهى تحقيق كتاب (كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة/ للإمام الجليل الحافظ ابن رجب الحنبلى المولود سنة ٧٣٦هـ ، والمتوفى ٧٩٥هـ] .



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم ايداع ٣٥٤٣-٨٩٧ — ٨٩